الخطب في المسجد الحرام

مواعظ دينيّة - خلقيّة - اجتماعيّة

بقلم
عبد الله خيّاط
الخطيب في المسجد الحرام

الحلقة الرّابعة

الطبعة الرابعة
١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خير خلقه البشير النذير ، سيد الأولين والآخرين ، محمد بن عبد الله ، وعلى آله الطيبين ، وصحبه أجمعين .

وبعـــد ، فهذه هي الحلقة الرابعة من كتاب « الخطب في المسجد الحرام » أعددتها وألقيتها في مناسبات مختلفة[1] بتوفيق الله وعونه .

وأخرجها للمجموع بتشجيع أهل الفضل من خيار الاخوان، الذين يحبون إشاعة النفع ، وتعميم الخير .

ولقد كان بعض المحبين يرغب في إعادة طبع الحلقات السابقة، ولكنني فضلت إخراج حلقة جديدة على إعادة طبع الحلقات السابقة ، نظراً لأن خطب الجمع شرعت لوصف أدواء المجتمع ، والتذكير والتبصير بالواقع ، لا لتكون معادة مكرورة ، قيلت في مناسبات سابقة .

وأسأل الله أن ينفع بهذه المجموعة وسابقاتها ، ويأجرني على ما بذلته فيها من تحر للحق ، وما قصدته من إرادة النصح ، والتوجيه .

وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الرسل أجمعين ، وعلى آله وصحبه .

١ / ٣ / ١٣٨٨ هـ — عبد الله خياط

(١) أشير في الهامش الى زمن إلقاء بعضها .

١ ـ في الحث على تعلم العلم الشرعي[1]

الحمد لله، بدد بنور العلم ظلمات الجهل الحالكة، أحمده سبحانه، جعل العلم طريقاً إلى العزة والسعادة. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، رسول الهدى، وبحر العلوم الزاخرة. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد، فيا عباد الله، أشرف ما تنافس فيه المتنافسون، وأفضل مابذلت فيه الجهود، طلب العلم النافع، فهو الروح يمد الجسد بالحيوية، وهو النور الوضاء، يبدد ظلمات الجهل، ويهدي إلى السبيل، كما قال تعالى: (أفمن كان ميتاً فأحييناه، وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس، كمن مثله في الظلمات، ليس بخارج منها)؟ وقال تعالى في الإشادة بالعلماء وتفضيلهم على من سواهم: (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون). وقال رسول الله ﷺ: «الدنيا ملعونة، ملعون من فيها، إلا ذكر الله وما والاه، وعالم ومتعلم». والعلم النافع يا عباد الله يشمل علوم الدين والدنيا معاً، إذ أن في علوم الدنيا التي اقتضت حكمة الله عمارتها، ما يكون في الأخذ بطرف منه رفع مستوى الأمة حيث يجوب أفرادها آفاقاً من المعرفة، أضحت من الضروريات، وما تتطلبه

(١) في ١٣٨٣/١/١٥ هـ.

الحياة ، فكما تحتاج الأمة إلى الوعاظ والقضاة وأهل الحسبة ، تتطلب الطبيب الحاذق ، والمهندس البارع ، والباحث في طبقات الأرض ، وغيرهم ممن لا ينتظم أمر المجموع إلا بهم . غير أن ما ورد في القرآن والسنة من فضل العلم ، إنما يعني العلم الشرعي ، الذي يرسم طريق السعادة في حياة الخلود. كما قال رسول الله ﷺ : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » . وقال : « نضر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه » .

وإن مما يحز في نفس كل مسلم ، غيور على دينه ، انصراف الأكثرين عن هذا العلم الشرعي ، الذي به حياة القلوب ، والذي يترتب عليه معرفة الأحكام الشرعية ، وبيان الحلال والحرام ، بالاضافة إلى أثره في التهذيب النفسي ، والسمو الروحي ، وما ذاك إلا للنظرة المادية ، التي طغت على النفوس ، وللحرص على تأمين المستقبل بزعمهم ، ولأنهم لمسوا أن التقدير المادي والأدبي أصبح مقصوراً على حملة المؤهلات العالية في العلوم الحديثة . أما علوم الدين ، ومن يصرف فيها الجهود المضنية من العلماء ، بحثاً وتعليماً ، وتفريعاً وتوجيهاً ، فليس له في دنيا الناس إلا النظرة الساخرة ، وإلا الرمي بالجمود والرجعية ، والأفكار القديمة ، وأنه صاحب الثقافة الصفراء ، التي لم يعد لها رواج ، أو لا تلائم العصر الحديث ، وكانت نتيجة ذلك انصراف الأكثرين عن علوم الدين ، حتى أضحى البلد في أزمة من العلماء ، وفي أزمة من المدرسين ، والوعاظ

والمرشدين ، والقضاة اللامعين ، وسوف يأتي اليوم الذي تلحق فيه البقيـــة الباقية من العلماء بربهم ، ثم تكون المأساة المروعة ، وهي ما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ حيث يقول : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا » .

وانها ياعباد الله مأساة مخيفة ، ومشكلة تتطلب المبادرة بالحلول العاجلة ، لقد عهد الناس علماء تضرب اليهم أكباد الابل ، للأخذ عنهم ، ولالتماس الهدى في ارشادهم وتوجيههم ، وعهد الناس حفاظاً للقرآن ، لهم دوي بالتلاوة ، وكان غاية أمل الآباء أن يتقدم أبناؤهم الصفوف ، أئمة ومرشدين ، ومعلمين للخير ، أفلا يجدر بالخلف ، أن يعض على بنان الندم ، أسى وحسرة على التراث المضاع؟ وإن المسؤولية - ياعباد الله - في ضياعه تقع على المجموع لا على فرد ، أوطائفة دون أخرى ، فالنور حق للجميع ، وعلى الجميع أن يجتهد في المطالبة باعادته ، ورأس مال المسلم - ياعباد الله - دينه ، ولا طريق إلى التعرف اليه إلا بمعرفة علوم الدين ، والتمرس فيها ولا حياة لأمة ولا سعادة أو فلاح إلا إذا عنيت برأس مالها فنمّته وحافظت عليه، وطالبت أن يكون في طليعة ما يعنى به من أمور الاصلاح ، يجب أن تكون العناية بدروس الدين شاملة كاملة ، لا في المدارس فحسب ، بل وفي مساجد المملكة ، ويجب أن يعود نظام الحلق في

المساجد ، فكم أخرجت حلق الدروس في المساجد من علماء كانوا ولا يزالون، نجوم هداية ، تتألق في المجموع ، ويجب الاستعانة بعلماء الأمصار ، المشهود لهم بالاستقلال في الرأي والفهم والتحقيق ، كما يجب أن يلاحظ في تنظيم الدروس الاختصاص والتداول ، لضمان الأخذ بأوفر نصيب من العلم الشرعي ، إلى جانب ذلك بعث البعوث للتخصص في الفقه الاسلامي ، وعلوم الكتاب والسنة، فكما تبعث البعوث للجامعات للثقافة العصرية ، يجب أن تبعث أيضاً للتشبع من الثقافة الدينية ، وبهذا وحده يمكن تدارك الخطر الداهم ، وتلافي الخلل ، ويعود لهذه المملكة السعيدة مركزها العلمي ، الذي كانت تحتله بالأمس ، وتصبح مركزاً للاشعاع في الحاضر كما كانت في الماضي ، ويزول عنها شبح الافلاس والركود العلمي .

فاتقوا الله عباد الله ، واهتبلوا الفرص لنشر الوعي الديني بين المجموع ، فإن لليوم ما بعده ، وان ضعف الثقافة الدينية ، وعدم الاقبال على تعلم العلوم الشرعية ، نهايته الانسلاخ ، والتحلل والافلاس ، ويا لخسارة من كان افلاسه في دينه ، (ذلك هو الخسران المبين) ! .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : (بسم الله الرحمن الرحيم : والعصر ، إن الانسان لفي خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتوصوا بالحق وتواصوا بالصبر) .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ،ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله ، يهدي من يشاء إلى صراطه المستقيم ، وأشهد ان لا إله إلا الله وحـده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صاحب النهـج القويم ، والخلق العظيم ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، صح عن رسول الله - ﷺ - أنه قال في حديث طويل : « مـن سلك طريقاً يلتمس فيـه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة » و « ان الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » . وفي ذلك ياعباد الله حفز للهمم لاستباق ميادين العلم الشرعي ، فيـا لسعادة من أخذ به ففاز بالربح العظيم .

٢ ـ في الحث على عدم احتكار المرافق(١)

الحمد لله ، وعد المحسنين خير الجزاء ، أحمده سبحانه ، وأشكره ، والشكر واجب له على السراء والضراء . وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، واشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، وضع أسس التكافل بين الجماعة الاسلامية ، فوثق الروابط وشد الاخاء ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ! لقد كان من عوامل حفظ التوازن بين الجماعة الاسلامية ، محاربة الاسلام للاستغلال ، في كل صوره وأشكاله ، فحارب الربا وأكل مال اليتيم ، وحارب الرشوة في كل صورها لأن في مجموع ذلك استغلال ينذر بتصدع بناء الجماعة ، ويغرس الضغائن والاحقاد بين المسلمين ، وحارب الاحتكار في الأرزاق ، وأنذر من يجنح اليه بسوء العاقبة ، من ذلك قوله ﷺ : « من احتكر على المسلمين طعامهم ، ضربه الله بالجُذام والافلاس » . وصح عنه ﷺ أنه قال : « من دخل في شيء من أسعار المسلمين يُغليه عليهم كان حقاً على الله أن يعذبه في النار »

وليس احتكار الطعام ياعباد الله ، بأعظم جرماً من احتكار المرافق التي عليها

---

(١) في ١٣ / ١ / ١٣٨٢

قوام أمور الناس ، وليس العمل على رفع أسعار المسلمين في حاجياتهم ، ـ بأشد من الاصرار على ارتفاع أجور منازلهم وحوانيتهم التي تجمع شعثهم ، وفيها سكنهم ، وعليها مدار معايشهم ، لأن الطعام لن يعدم منه المرء ما يسد به الرمق ، فلن يبيت أحد طاوياً في مجتمع انساني ، أما المسكن ، فضرورة لازمة ، إذ لا يستطيع أحد أن يعيش في العراء ، كما انه لا يتمكن من كسب العيش ، إلا إذا كان في حرزته حانوت يعرض فيه سلعته ، أو يروج فيه صناعته ، فإذا احتكرت هذه المرافق ، وطلب أربابها أجوراً خيالية أضعافاً مضاعفة ، كان ذلك استغلالاً بشعاً ، واحتكاراً من أفظع ألوان الاحتكار ، لا يقل خطره وضرره عن احتكار الأرزاق والطعام ، ولا يقل الوعيد فيه عن الوعيد في اغلاء السعر على المسلمين .

وإذا كان الاسلام قد رغب في الفاضل من المال عن الحاجة من أي أصناف المال ، يبذله المسلم تبرعاً لمن يحتاجه من إخوانه ـ دون مقابل ـ أفلا يكون من المنطق والعدل لو لم يشرع الدين أن يبذل المسلم ما فضل من ماله عن حاجته ، سواء كان منزلاً أو حانوتاً ، أو طعاماً وشراباً أو مركباً ووطاء ، يبذله مع أخذ أجرة المثل ، لا وكس ولا شطط طيبة نفسه بالبذل ؟ كيف وقد قال رسول الله ﷺ في حديث أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه : « من كان له فضل ظهر ـ أي مركب زائد عن حاجته ـ فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له

فضل زاد ، فليعد به على من لازاد له »، قال أبو سعيد : ثم ذكر أي رسول الله ﷺ ، من أصناف المال ما ذكر ـ أي عدد أصنافاً من الأموال ـ حتى رأينا أنه لاحق لأحد منا في فضل ـ أي فيما زاد عن حاجته يحتجزه دون اخوانه ، ويكون خاطئاً لو فعل ذلك ـ ضناً به بماله الزائد ، أو طالباً له ثمناً فوق أجرة المثل ، استغلالاً لضرورة الناس ، وانتهازاً لجمع الثروة ، على حساب الفقراء من عباد الله ، الذين لهم في عنق المجتمع واجب الكفالة وحق الرعاية ، والعطف والرحمة ، و « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحكم من في السماء » كما جاء في الحديث .

وإن الشيوعية الهدامة ، التي منيت بها المجتمعات الاسلامية في أعقاب الزمن ، لن تجد طريقها إلا إلى المجتمع المتفكك ، الذى لا تربط أفراده رابطة تعاطف ، أو آصرة تراحم وتكافل ، بل القوي منهم يأكل الضعيف ، والغني فيهم يستلب حق الفقير ، مستغلاً حاجته مغتنماً ضرورته ، أما المجتمع الاسلامي الرفيع فقد عاش المسلمون فيه اخوة في الله متحابين ، وأصدقاء متعاطفين متراحمين ، حتى كان أحدهم لايرى نفسه أحق بالدرهم من أخيه ، وصفهم رب العزة في محكم التنزيل بقوله : (أشداء على الكفار ، رحماء بينهم) .

فاتقوا الله عباد الله ، وترفعوا عن الشح والاستغلال ، والجشع في أي صورة وفي كل مجال ، فقد جاء عن المصطفى ﷺ أنه قال : « إن لله أقواماً

اختصهم بالنعم لمنافع العباد ، يقرهم فيها ما بذلوها ، فإذا منعوها نزعها منهم ، فيحولها إلى غيرهم » . فاحذروا عباد الله أن يغير الله عليكم نعمه ، فكم من غني جمع من اصناف المال ، واعتد به ، واحتجز الفاضل منه عن عباد الله ، أصبح معدماً يتكفف الناس .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض ، إن الله لا يحب المفسدين) .

نفعني الله واياكم بهدي كتابه . أقول قولي هذا ، واستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، انه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية[1]

الحمد لله المتفضل على عباده بعظيم النعم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، نبي الرحمة ، وأمته المتراحمة خير الأمم ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، صح عن رسول الله ﷺ أنه قال - في معرض الاشادة بجلائل الأعمال: « ان الأشعريين إذا أرملوا - أي نفد زادهم وافتقروا - جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد

(١) في ١٦ / ١ / ١٣٨٢ .

بالسوية ، وذلك عن طيب نفس ، فهم مني وأنا منهم » فهلا استشرف الخلف لهذا الشرف العظيم ، وجعلوا التكافل ، والتضامن قاعدة لحياتهم ، وأساساً لرابطتهم ؟! .

٣ ـ في الحث على ترك الكذب وبيان أنواعه[١]

الحمد لله يهدي من يشاء إلى طريق الرشاد ، أحمده سبحانه يحشر العباد اليه للجزاء يوم التناد ، جاء بالهدى والبينات ، وكانت بعثته رحمة للعباد ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ! إلى جانب الفضائل والمحامد التي يغرسها الاسلام في النفوس ، كوسيلة للصلاح والفلاح ، إلى جانبها نقائص ورذائل ، حاربها الاسلام ، لأنها مزلة للأقدام ، وعوامل للهبوط النفسي والخلقي ، وفي طليعتها الكذب ، فهو أقبح النقائص ، وأقبح الرذائل ، قال تعالى منفراً منه : (إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ، وأولئك هم الكاذبون) فوصف سبحانه الكاذبين بأقبح ما وصف به الكافرين ، الجاحدين لآيات الله ، وفي التنفير منه ، ومحاربته والترفع بالأمة أن تهبط إلى مزالقه . يقول رسول الله ﷺ : « يطبع المرء على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب » ، ويقول أيضاً ـ وقد سئل :

(١) في ٤ / ١١ / ١٣٨٢

أيكون المؤمن جباناً ؟ قال : « نعم » - قيل : أيكون المؤمن بخيلاً ؟ قال « نعم » قيل : أيكون المؤمن كذاباً ؟ قال : « لا » وما ذلك إلالأن الكذب خصلة ضَعَة وهوان ، والاسلام يربأ بأهله عن الضعة والهوان ، ويطلب لهم الشرف والعزة .

وتتفاوت درجات الكذب في دنيا الناس بقدر ما يحدثه من خطر وضرر ، فأعظم الكذب إثماً القول على الله ورسوله بغير علم ، والجرأة على التحريم والتحليل دون نص واضح ، قال تعالى محذراً من ذلك : (ولاتقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب : هذا حلال وهذا حرام ، لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) يلي ذلك الكذب السافر ، الذي يتردد صداه ، والذي يقرره أربابه ، وكأنه حقيقةلاتقبل الشك ، فيبلغ الدنيا ، وتبلبل به أفكار المجموع ، وقد يكون سبباً في اثارة فتنةعمياء ، أو تأريث نارالعداء ، لذلك جاء النهي الصارخ عن قبول أي خبر إلا بعد التثبت خشية الكذب ، كما قال تعالى : (ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا ، أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين) .

ولقـــد مثل لرسول الله ﷺ ليلة أسري به صورة الكذاب يكذب الكذبة السافرة ، فيكون من أثرها وضررها ما يفسد ويكرث ، مثل له وهو يشق شدقه ثم يلتئم ، ويصنع بـه ذلك إلى يوم القيامة ، واخبر بواقعه ، وانـه

يكذب الكذبة فتحمل عنه حتى تبغ الآفاق ، وان لنا ياعباد الله في أعقاب الزمن من أمثال ذلك أشكالاً وألواناً ، وتمثلها الصحافة المأجورة ، حين يقلب أهلها الحق باطلا ، والحسنات إلى سيئات ، وحين يختلقون الأكاذيب المضللة لإثارة الرأي العام ، كما تمثلها أيضاً الاذاعات المنحرفة ، التي تسير تبعاً للأهواء والأغراض ، ولا يعنيها تقرير الواقع عارياً عن الزيف ، والإدلاء بشهادة الحق إقراراً للعدل ، واستجابة لأمر الله حيث يقول : (ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله . شهداء بالقسط ، ولايجرمنكم شنئان قوم) أي بغض قوم (على أن لاتعدلوا) ، (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً) .

يلي الكذب السافر : كذب مشاع بين المجموع ، فمن مقل منه ومن مكثر ، يشمل جميع الطبقات في مختلف مجالاتهم ، لايتورع عنـــه إلا من عصمه الله وهداه . فاتقوا الله ، عباد الله ، واعملوا جاهدين في التجافي عن الكذب ، في أساليبه ، والترفع عن الزور والبهتان ، فقد صح عن سيد الانام انه قال محذراً أمته مرتفعاً بها عن التورط في مزالق الكذب : « واياكم والكذب ، فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وان الفجور يهدي إلى النار » .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين . .) (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً واثما مبيناً) .

نفعني الله واياكم بهدي كتابه . أقول قولي هذا ، واستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، انه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية[1]

الحمد لله ، وعد الصادقين بالمغفرة والأجر الكريم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين . اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، إن من الكذب مايعبر عنه بالنفاق الاجتماعي ، يخدع الناس به بعضهم بعضاً ، لأغراض ومقاصد يرجونها ، وكثيراً مايتملقون به العظماء والرؤساء ، ويرفعونهم بالمدح لدرجة لايقرها واقعهم ، وفي ذلك من الوعيد الشديد ما رواه الإمام أحمد وغيره « إن الرجل ليخرج من بيته ومعه دينه ، فيلقى الرجل له اليه حاجة ، فيقول : أنت كيت وكيت - يثني عليه لعله ان يقضي من حاجته شيئاً - فيسخط الله عليه ، ويرجع وما معه من دينه شيء » .

فاحذروا عباد الله مجالب سخط الله ، وترفعوا عن الكذب في كل ألوانه وحسبكم أنه معبر إلى النار ، وبئست النار من قرار . !

---

(١) في ٤ / ١١ / ١٣٨٢ هـ

٤ ـ في تقرير مبدأ البعث والجزاء[1]

الحمد لله عالم الغيب والشهادة ، وهو اللطيف الخبير ، أحمده سبحانه له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن لا الله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صاحب اللواء والكوثر ، والقَدْر الكبير ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، موازين العدل خير معيار لترغيب الجزاء على الفعل ، كما قال تعالى : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئاً ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين) .

والجزاء على الأعمال ياعباد الله يرتبط بركن من أركان الايمان ، وهو التصديق الجازم باليوم الآخر ، وان الله يبعث الناس من قبورهم ، ويجمع فيه الأولين والآخرين ، هذه العقيدة وهذا الإيمان المفروض بالجزاء يوم الجزاء ، أصبح في أعقاب الزمن موضع تهكم وتشكيك ، لدى المخذولين المفتونين ، ممن يزعم الاسلام وممن ولد من أبوين مسلمين ، ونشأ في بيئة إسلامية .

انها يا عباد الله دهرية أبادها الاسلام حين قال محتضنوها ما حكاه الله عنهم : (وقالوا : إن هي الا حياتنا الدنيا ، وما نحن بمبعوثين) فقطع سيف الاسلام

---

(١) في ٢٩ / ١ / ١٣٨٣ هـ

لسان البغي ، وقضى على كل عقائد الدهريين ، من فلاسفة ومشركين ، وقرر الله عقيدة البعث والحياة بعد الموت في غير ما آية من كتابه ، مستدلاً بالنشأة الأولى ، خلق الانسان من عدم ، على النشأة الأخرى كما قال تعالى : (وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه ، قال : من يحيي العظام وهي رميم ؟) أي استبعد منكر البعث اعادة الأجساد والعظام الرميمة ، ونسى نفسه وان الله تعالى خلقه من العدم ، فرد عليه سبحانه بقوله : (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ، الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً ، فإذا أنتم منه توقدون ، أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ بلى ، وهو الخلاق العليم) أي أن قدرته العظيمة صالحة لإعادة الخليقة للجزاء والحساب ، فذلك مقتضى العدل والحكمة ، إذ لا يستوي في عدله سبحانه العامل والهامل .والجد والكسول ، والمؤمن والكافر ، (كل امرىء بما كسب رهين) (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) . أي يرى جزاءه إن خيراً فخير ، وان شراً فشر .

ولقد وصم القرآن منكر البعث بالكفر ، وأكد وقوع البعث وأوضح العلة في ذلك قال تعالى : (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا ، قل: بلى وربي لتبعثن ثم لتنبئن بما عملتم ، وذلك على الله يسير) فهذا هو الحق الذي لا مرية فيه ، يا عباد الله . وماذا بعد الحق الا الضلال ، وهذه العقيدة الصحيحة ،

السليمة التي يجب ان يتواصى بها المسلمون في أعقاب الزمن ، والتي يجب أن تلقن الأطفال منذ نعومة أظافرهم لتكون ركيزة في نفوسهم ، وعقيدة راسخة في قلوبهم ، لا يضلون عنها أو ينحرفون ، لأن من ضل عنها ، فقد ضل ضلالاً بعيداً ، وخسر خسراناً مبيناً ، وسوف ينكشف له الغطاء يوم الجزاء : (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها ، وتوفى كل نفس ما كسبت وهم لايظلمون)يوم تتطاير صحائف الأعمال إلى اليمين والشمائل : (وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه ، ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً ، اقرأ كتابك ، كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً) . سوف ينكشف لـه الغطاء ، يوم ينصب الصراط على متن جهنم ، يجتازه الناس على قدر أعمالهم كلمح البصر ، أو كالبرق الخاطف ، أو كالريح ، أو الفرس الجواد فيسرعته ، أو يمر عليه كركاب الابل ، أو يعدو عدواً ، أو يمشي مشياً ، أو يزحف زحفاً ، حتى يكون منيخطف خطفاً ويلقى فيالنار ، كما صح بذلك الحديث .

وسوف تتضح الحقائق ياعباد اللهللجاحدينليوم الجزاء ، عندمايشاهدون السعداء ، ينزلهم الله منازل الرضوان في رفيع الجنان ، ينعمون بالروح والريحان ، وطيب الاقامة ، (فيظل ممدود ، وماء مسكوب ، وفاكهة كثيرة ، لا مقطوعة ولا ممنوعة) ، ويشاهدون الأشقياء ، تسعر بهم النيران ، ويسقون فيها من حميم آن ، (لايفتر عنهم العذاب وهم فيه مبلسون) فتتملكهم الحسرة

إن كانوا منهم ، ويتمنون الرجعة لتصحيح الأخطاء ، وهيهات أن تكون لهم رجعة (فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق ، خالدين فيها مادامت السموات والأرض ، إلا ما شاء ربك ، إن ربك فعال لما يريد ، وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ، ما دامت السموات والأرض، إلا ماشاء ربك ، عطاء غير مجذوذ) أي غير مقطوع ولا ممنوع .

فاتقوا الله ياعباد الله ، وايقظوا في نفوسكم الشعور الدائم بيوم الجزاء ، ولتتضافر منكم الجهود على قمع كل نزعة تشكك فيه ، أو تزعم أنه اسطورة من الأساطير ، وما هو والله إلا الوعد الحق ، صدق به المؤمنون ، وجحده الكافرون .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : (إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين ، يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ، ولاهم ينصرون ، إلا من رحم الله ، إنه هو العزيز الرحيم) .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه . أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، انه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية[1]

الحمد لله الذي اهتدى بهديه المهتدون ، وبعدله ضل الضالون ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمدعبده ورسولهالصادق المأمون ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ! يقول الله سبحانه : (ولله ما في السموات وما في الأرض ليجزي الذين أساءوابماعملوا . ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى)وذلك أوضح برهان على الجزاء يوم الجزاء ، فمن كذب به فقد كذب القرآن وباء بالخسران ، فحذار من فتنة المخذولين ، وإفك الجاحدين .

٥ ـ في الحث على الثقافة الاسلامية وتطبيق العلم بالعمل

الحمد لله الذي اهتدى بهديه المهتدون ، أحمده سبحانه لايسأل عما يفعل ، وكل الخلائق بين يديه موقوفون ومسؤولون .وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، أرسله الله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

---

(١) في ٢٩ / ١ / ١٣٨٣ هـ

أمـا بعد ، فيا عباد الله ، في دنيا المدارس : مدرسة أخرجت إلى الدنيا طرازاً من المتعلمين ، ينشرون العـلم والمعرفة ، ويهدون بهداية الله إلى السبيل السوي ، انها ياعبـاد الله ـ المدرسة الأولى ، التي كانت حصناً للدين ، في مبدأ نشأته ـ مدرسة النبوة ، في (دار الأرقم) تشع بنور النبوة ، ويعمر قلوب أهلها الايمان ، يضفي عليها الطمأنينة ، فلم يخالج نفوسهم وهم في دار محنة مع خصومهم أن الله سبحـانه سوف يتخلى عنهم ، ويظهر الشرك على الاسلام ، كيف وهو القائل : (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون) . وكانت المدرسة الثانية في مسجد المدينة ، حيث انقطع بعض صحابة الرسول الكريم في صفة المسجد ، يحفظون كل ماينزل من القرآن ، ويحصون مايصدر من سنة سيد الأنام ، ويصحبونه في غزواته ويقيمون معه الصلوات ، لايريم أحدهم المسجد ، رغبة في العـلم وحمله ، والمعرفة ونقلها إلى الغير ، ممن شغلهم الضرب في الأسواق ، أو بعد الدار وشط المزار ، ولم تكن المدرستان وحدهمـا وقفـاً على إشاعة العلم والمعرفة ، وتربية الخلق في عصر النبوة ، بل أصبح في كل بيت مدرسة يأخذ الرجل على عاتقه تعليم أهله ومن يقع تحت مسؤوليته ، يعلمهم مايبلغه من الدين عن سيد المرسلين ﷺ ويأخذهم بتطبيقه ، كما وصفت هذا الواقع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ـ فقالت : « لما نزل في سورة النور (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) انقلب رجالهن ـ وتعني

رجال نساء الأنصار يتلون عليهن ما أنزل الله اليهم يتلو الرجل على امرأته وابنته واخته، وعلى كل ذي قرابته، فما فيهن امرأة الا قامت إلى مرطها المرحّل، فاعتجرت به تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله » أي إنهن طبقن العلم بالعمل ، وكذلك كان شأن صحابة الرسول الكريم ، رضوان الله عليهم ، يأخذون أنفسهم بتطبيق العلم على العمل ، حتى لو كان في التطبيق عنت لبعضهم ، أو إزهاق لروح أحدهم.

وفي قصه الغامدية ـ التي أصرت على الرسول ﷺ أن يطهرها بالحد أكبر برهان على تأثير النفوس بالدين ، وأخذها بتطبيق ماتعلمه منه ، وفي قصة تحريم الخمر أيضاً حيث كانت الكؤوس مترعة في أيدي البعض فدخل عليهم من أخبرهم بتحريم الخمر، وقرأ الآية الكريمة (انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون) ؟ فأراقوا الكؤوس في الحال ، وقالوا بلسان واحد : انتهينا ربنا انتهينا ! !

وبهذه التربية الاسلامية التي كان يربي عليها النبي ﷺ أصحابه في مدرسته، ويأخذهم فيها بتطبيق العلم على العمل ، بهذه التربية سادوا الدنيا ، وأصبح الفرد فيهم يهدد أعظم قواد خصومه ، وهو معه على سرير العظمة قائلاً : لقد ابتعثنا الله لنخرج العباد من عبودية المخلوق إلى عبودية الخالق ، ومن جور الأديان إلى عدل الاسلام .

هكذا كانت مدارسهم ، وهكذا كان الاثر الطيب لتطبيق العلم ، وللتربية الصالحة المصلحة الهادفة الراشدة ، ترى لو أخذ الخلف ببعض ماعني به السلف من التربية الصالحة ، وقام كل مسؤول على من استرعاه الله أمره قام بتهذيبه وتثقيفه ثقافة إسلامية، وغرس في نفسه حب التضحية لدينه وعقيدته ،وقبل كل شيء أخذه بالتطبيق العملي لما يتعلمه ، ولو قامت المدرسة أيضاً بنفس الدور ، بالاضافة إلى التزويد بالعلم والمعرفة في مختلف الحقول ، ترى كم يجني المجتمع من الآثار الطيبة والثمار الحميدة من وراء هذا التوجيه الصالح الراشد؟ !! إننا سوف نصل الحاضر بالماضي لو سرنا على الدرب، وسوف ينصرف الشباب عن مجالات اللهو والعبث إلى المجالات الجادة الهادفة ، التي يكون من ورائها إظهار الشخصية الاسلامية ، والاعتداد بالقوة الروحية إلى جانب القوة المادية المأمور بها شرعاً ، وسوف ينقد الشباب بوعيهم المتفتح ،وثقافتهم الاسلامية ، كل زيف يلتصق بالدين ، وكل مبدأ منحرف ، وكل نظام فاشل ، يناهض شريعة رب العالمين ، وعندئذ يتصافح الرواد لهذه المسيرة الخيرة وتغمر كل فرد في المجتمع الفرحة لكسب جيل إسلامي واع ، يسير نحو الغاية ، ويحقق الهدف تحت راية القرآن .

فاتقوا الله ياعباد الله ، واحزموا الأمر وزموا الخطى للسير في درب الأولى ساروا على نهج الهدى في التنشئة الاسلامية ، والتدريب على التضحية

والفداء ، تصلوا الحاضر بالماضي ، وتبلغوا أرفع مدارج العزة في العاجلة ، وخير منازل المقربين في العقبى .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : (ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن ، فقد استمسك بالعروة الوثقى ، وإلى الله عاقبة الأمور) .

نفعني الله واياكم بهدي كتابه ، أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، انه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله القاهر فوق عباده ، وهو اللطيف الخبير ، وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد ان سيدنا محمداً عبده ورسوله ، البشير النذير ، والسراج المنير ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه.

أما بعد ، فيا عباد الله ! من السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه : شاب نشأ في عبادة ربه . والعبادة تتطلب العلم والمعرفة ، وما أروع الشاب المثقف المتدين الواعي ، يشتغل بعبادة الله ، ويسير إلى الله على هدى وبصيرة .

٦ ـ في الحث على طلب السعادة بالعمل الصالح

الحمد لله يسر لعباده طريق السعادة ، أحمده سبحانه ، وعد المحسنين بالحسنى وزيادة ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، رسم للأمة نهج الهدى ، وأرشد الخلق إلى خلاص العباد ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، الأمل الذي يرجو المرء تحقيقه في هذه الحياة ، والحلم الذي لا ينفك يحلم به كل فرد بحسبه ، هو بلوغ السعادة ، واستكمال أطرافها .

والسعادة ، في نظر الناس ألوان تختلف فيها أنظارهم ، فمن الناس من يرى السعادة في كثرة المال ، ووفرة الولد ، على اعتبار أن ذلك زينة الحياة وبهجتها ؛ كما قال تعالى : (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) ، ومن الناس يرى السعادة في الرياسة وامتداد النفوذ ، وفي الجاه العريض ، وزحمة الخدم والحشم ، وفي جمال الرياش ، وبريق الأثاث واللباس ، على اعتبار أن ذلك من متع الحياة المباحة ، ومن الحسنة التي يطالب العبد من المولى تحقيقها له في الدنيا ، كما قال تعالى : (ومنهم من يقول : ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة) ، ومن الناس من يرى السعادة في مجالات أخرى ، بحيث يكون قرير العين ناعم البال ،

وأولو البصائر أرباب النهى ، ينشدون السعادة الحقيقة في الاستقامة على نهج الهدى ، والتوفيق بالأخذ في مسالك التقوى ، والكدح في هذه الحياة الدنيا ، لإحراز عمل صالح يزدلفون به الى المولى جل وعلا ، ويأمنون به من المخاوف يوم الفزع الأكبر ، وتكون لهم به في الآخرة الدرجات العلا ، كما قال تعالى: (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ، إلا من آمن وعمل صالحاً ، فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا ، وهم في الغرفات آمنون) .

ولقد ضرب الله الأمثال لعباده بالأمم الماضية ، ممـــن كانوا أعظم بهجة بزخرف الحيـاة الدنيـا ، وأكثر أموالاً ، وأعز نفراً ، فلم يستكملوا بذلك أطراف السعادة ، حين لم يتخذوا بالايمان والعمل الصالح إلى الله سبيلا - كما قال تعالى حكاية عن فرعون : (ونادى فرعون في قومه ، قال : ياقوم أليس لي ملك مصر ، وهذه الأنهـار تجري من تحتي أفـلا تبصرون ؟) . وقال تعالى عن إمداده لقارون بفيض من الأموال : (وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة) . أي أعطاه الله من كنوز المال ما إن مفاتح الكنوز ليثقل حمله على الجماعة الأقوياء .

وقال تعالى محقراً من شأن الاعتزاز بزخرف الحياة ، موضحاً أن نعيم الحياة الدنيا ليس دليلاً على السعادة : (ولولا أن يكون النـاس أمة واحـدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفـاً من فضة ، ومعارج عليهـا يظهرون ،

ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون ، وزخرفاً وإن كل ذلك لمّا متاع الحياة الدنيا) ، ولذلك أمر الله رسوله ﷺ ، والأمة معنية بالأمر ، أن لا يتطلع إلى ما يتمتع به المترفون من زهرة الحياة الدنيا ، فما عند الله من نعيم الآخرة خير وأطول أمداً . قال تعالى : (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم، زهرة الحياة الدنيا ، لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى) ، وجاء في تفسير الآية : لا تنظر إلى مافيه هؤلاء المترفون من النعيم ، فإنما هو زهرة زائلة ، ونعمة حائلة ، لنختبرهم بذلك ، وقليل منهم الشكور .

وقال بعض السلف: من ظن أن نعمة الله في مطعمه ومشربه وملبسه ، فقد قل عمله وحضر عذابه ، لأنه يركن إلى الدنيا فيجعل الله له نصيبه فيها من المتع الزائلة ، فيلهو عن العمل لسعادة الآخرة ، ولا يكون له فيها حظ ولا نصيب، كما قال تعالى : (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد، ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً ، ومن أراد الآخرة ، وسعى لها سعيها وهو مؤمن ، فأولئك كان سعيهم مشكوراً) .

فاتقوا الله عباد الله ، واغتنموا فرص هذه الحياة ، لكسب عمل صالح ، تستكملوا به السعادة في الدارين ، والنعيم والامتاع في الحياتين .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه . أقول قولي هذا ، واستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، انه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله يسبغ العطاء على عباده ، ويولي النعماء وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، سيد الرسل وخاتم الأنبياء . اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد، فيا عباد الله ، صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت » أي : العاقل من حاسب نفسه على هفواتها ، ومنعها مما فيه هلاكها ، وعمل عملاً صالحاً يكون سبباً له في السعادة الدائمة يوم معاده . « والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني » ، أي : العاجز من قعد في الدنيا عن إحراز السعادة بصالح العمل ، وأعطى نفسه هواها في ارتكاب الزلل ، ومع ذلك يتمنى على الله الفلاح ، والنجاة والسعادة ؛ وهل يحصد الزارع إلا ما زرع ؟! فكونوا عباد الله خير الرجلين ، تفوزوا برضى الله ، وجميل عوائده في الدارين .

٧ ــ في الحث على عدم إسقاط الحدود بالشفاعة وعدم المخاصمة بالباطل أو رمي البريء بما ليس فيه [١]

الحمد لله الذي اهتدى بفضله المهتدون ، أحمده سبحانه ، لا يسأل عما يفعل وكل الخلائق لديه مسؤولون ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، الصادق المأمون ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، العاطفة شعور يستجيب المرء لسلطانه ، ويخضع لدوافعه ، فهو مسوق لأن يقف في صف من تربطه به رابطة قرابة أو صداقة ، أو طوقه بمعروف ، يدافع عنه ، أو يشفع له ، أو يخاصم دونه ، ولو كان في ذلك تجاف عن العدل ، أو تجن على الغير ، وغمط للحقوق ، ولقد وجه رب العزة عباده إلى التغلب على العاطفة المتطرفة ، وإخضاعها للدين ، والتمسك بالعدل حفظاً للتوازن بين المجموع ، قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ، شهداء لله ، ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين) ، فأمرهم أن يحتكموا إلى العدل في أداء الشهادة ، لا إلى العاطفة ، وأمرهم أن يؤدوا الشهادة على وجهها دون محاباة أو مجاملة ، ولو كان في ذلك ضرر على المشهود عليه ، ولو كان أقرب قريب .

---

(١) في ١٣٨١/٦/٣٠ هـ

وإذا كان أداء الشهادة ضد مصلحة القريب واجباً مشروعاً ، فهل يسوغ لمن يعتز بدينه أن يندفع متأثراً بعاطفته فيشفع في إسقاط حد من حدود الله ؟! يقول رسول الله ﷺ منفراً عن ذلك : « من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضار الله عز وجل ، ومن خاصم في باطل وهو يعلم ، لم يزل في سخط الله حتى ينزع » ، أي : حتى يرجع عن مخاصمته . « ومن قال في مؤمن ما ليس فيه أسقاه الله ردغة الخبال ـ وهي عصارة أهل النار ـ حتى يخرج مما قال » .

فالحدود إذا رفع أمرها للسلطان حرام على المرء أن يشفع في إسقاطها بجاهه أو نفوذه أو ماله ، متأثراً بعاطفته ، وإنما شرعت الحدود لمصلحة المجموع وللحد من انتشار الجرائم ، أو ليس من مصلحة الجسم بتر العضو الفاسد منه لئلا يسري الداء فيفسد الجسد كله ؟! كذلك الحدود إذا أقيمت فإنها تضمن سلامة المجموع .

وللتغلب على العاطفة يأمر رب العزة بأن يشهد إقامة حد الزنى جمهور من المسلمين ، محذراً أن تحول العاطفة دون المضي في إقامة الحد ، قال تعالى: (ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) . وتجب التسوية في إقامة الحدود ، بين العظيم والحقير ، والشريف والوضيع ، والأمير والصعلوك ، وبذلك يستقيم المجتمع ويبلغ الذروة في إقامة العدل .

شفع أسامة بن زيد ـ حِب رسول الله ﷺ ـ في إسقاط حد السرقة عن امرأة نسيبه ، فجابهه رسول الله ﷺ بقوله : « أتشفع في حد من حدود الله » ثم قام خطيباً وقال : « إنما أهلك من كان قبلكم ، إنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » .

أما الخصومة بالباطل انسياقاً مع العاطفة فهي جناية ، لا يقل خطرها وضررها عن إسقاط الحد بالشفاعة ، لأنها ظلم شامل للمخاصم والخصم والمجتمع ، فالمخاصم بالباطل يظلم نفسه ، لأنه يعرضها بخصومته لسخط الله ومقته ، ويظلم مجتمعه لتجرئة غيره على الخصومة بالباطل ، ووضع بذور الشحناء والبغضاء بين أفراده ، وإشغال أرباب السلطة بالنظر في باطله ، وتعطيل النظر في مصالح الأمة ، ولذا حق عليه الوعيد الشديد ، بأن يبقى في غضب الله وسخطه ، حتى يرجع عن ظلمه ، ويعدل عن مخاصمته ، ويتوب إلى الله ربه ، ومن حق المسلمين جميعاً أن يقفوا صفاً واحداً في وجه المخاصم بالباطل ، ليأخذوا على يديه درءاً لخطره ، ونصرة له كما جاء في الحديث : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » ونصره ظالماً بالأخذ على يديه ، وإرجاعه عن ظلمه .

أما رمي المؤمن بما ليس فيه اندفاعاً مع الهوى ، أو لمشاركة قريب أو صديق في عواطفه ، فيقدح المرء في دين الغير أو عرضه ، أو يتجسس عليه

ويتبع عوراته ، أو يغتابه وينم عليه ، كل ذلك من البهتان ، وظلم الانسان للانسان وهو ـ يا عباد الله ـ حرام ، ومن كبائر الذنوب وعظيم الآثام ، وإن من خطره وضرره على المجتمع القضاء على وحدة المسلمين ، وإحداث التصدع في صفوفهم ، لذلك يقتص الله من صاحبه قصاصاً عادلاً من جنس جرمه ، انتصاراً للمسلم المجني عليه ، صعد رسول الله ﷺ المنبر ونادى بأعلا صوته : « يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الايمان إلى قلبه ، لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله » ـ أي جوف بيته ـ وهذا اقتصاص عاجل في الدنيا . أما قصاص الآخرة فلم يكن دخول النار والتلظي بالأوار فحسب ، ولكنه السجن الطويل في عصارة أهل النار وأقذارهم ، وفضلات أجسادهم ، فبئست النار من دار مذلة وهوان ، وبئس العذاب الحبس في ردغة الخبال .

فاتقوا الله يا عباد الله ، وتغلبوا على العواطف الجامحة باخضاعها لأمر الله ، وحذار من الشفاعة لإسقاط حد من حدود الله ، والمخاصمة في باطل ، ففي ذلك سخط الله ، وترفعوا عن إيذاء المسلمين ، ورميهم بالبهتان ، لتسلموا من الوعيد بالعذاب المخزي نقمة من الله .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا

قولاً سديداً ، يصلح لكم أعمالكم ، ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً) .

نفعني الله واياكم بهدي كتابه . أقول قولي هذا ، واستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمـــد لله يدعو إلى دار السلام ، ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، خير من دعا إلى الخلق الفاضل والنهج القويم ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ! إن من أعظم البهت قذف المسلم في عرضه ، ووصمه بالكبيرة من الذنوب ، اقذاعاً في شتمه ، وإن في الناس من يستمرىء القذف والاقذاع في السباب ، مستظرفاً نفسه أو مستطرفاً بما يقول ، وليس المؤمن ياعباد الله بالطعان ، ولا باللعان ، ولا بالفاحش والبذيء كما جاء في الحديث ، ولكنه كما وصفه الرسول الكريم بقوله : « خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره » .

٨ ـ في التحذير من أكل الرشوة

الحمد لله عالم السر والخفيات ، أحمده سبحانه ، قسم العباد بعدله ، بين سعيد استبرأ لدينه ، واتقى الشبهات ، وشقي اعتدى حدود الله وارتكب المحرمات ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، أكرم الخلق صاحب المعجزات ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله، قص الله علينا في كتابه من أخبار الظالمين ، وقصص الهالكين ، في معرض الذم لهم ، والانكار عليهم ، ما يدفع كل ذي عقل رشيد أن يجتنب طريقهم ، ويترفع عن مسالكهم ، وإن مما قصه الله في كتابه من أخبار اليهود ، إنهم سماعون للكذب أكالون للسحت قال تعالى : (سماعون للكذب ، أكالون للسحت) ـ أي يسمعون الباطل ويأكلون الرشوة ـ فالكذب هو الباطل في أي شكل وعلى أي صورة ، وهو حرام لا يصح قبوله أو سماعه ، والسحت هو كما قال ابن مسعود رضي الله عنه وغير واحد من السلف : هو الرشوة .

والرشوة حرام ، في أي شكل وبأي وسيلة، وسواء كانت شفاعة ليتقاضى عنها المرتشي هدية ، ليبطل حقاً أو يحق باطلاً ، كما قال ابن مسعود رضي الله

عنه : « من يشفع شفاعة ليرد بها حقاً ، أو يدفع بها ظلماً فأهدي اليه فقبل فهو سحت » . أو كانت الرشوة تدفع نقداً صريحاً في مقابل الانحراف بالحق إلى الباطل ، أو كانت في صورة مأدبة تقام للمرتشي أو غير ذلك فهي رشوة ملعون فاعلها ، ومن قبلها ومن توسط في إيصالها، يقول رسول الله ﷺ : « لعن الله الراشي والمرتشي والرائش» وهو الواسطة في ايصال الرشوة، وخصص الحسن رحمه الله الرشوة في الحكم فقال : إذا رشوته ـ أي الحاكم ـ ليحقق لك باطلاً أو يبطل عنك حقاً .

والحاكم يطلق على كل من كان في يده سلطة ؛ فالمصالح الحكومية كل مصلحة ، وكل موظف فيها ،له من الحكم بقدر ما في يده من السلطة ، سواء كانت السلطة تنفيذية أو تشريعية ، أي سواء كان الموظف يحكم وينفذ أو يقتصر عمله على تشريع الأنظمة ، وكتابة التقارير ، فإذا أسف الموظف ، وتدلى لأخذ الرشوة سواء كانت صريحة واضحة ، أو في صورة هدية ، أو بالطرق الملتوية والأساليب الخفية ، فهو ملعون ، إذ قد ارتكب المحظور ، ولحقه الوعيد .

ومن أمثلة الأساليب الملتوية للحصول على الرشوة : تعطيل معاملات الناس والتسويف في إنجازها ، كلما راجع صاحب الحاجة ، قال له الموظف المختص : ائت غداً ، أو بعد غد ، أو بعد أسبوع ، المعاملة تحت التوقيع ! ! وهو في الواقع كاذب ، يريد أن يحتال لأخذ الرشوة ، ثم يكون ما يريده صاحب

الحاجة ، ولو بقلب الحق واحقاق الباطل ، وهذا التصرف البغيض الممقوت ، إلى جانب إنه احتيال لأخذ الرشوة فهو خيانة في الأمانة لولي الأمر ، وظلم للناس .

وكل ذلك ياعباد الله حرام ، يجر على المرتشي أسوأ العواقب في الدنيا والآخرة ، في الدنيا يصاب بمحق البركة في الرزق ، فيذهب الحرام الذي تناوله سحتاً بالحلال الذي اكتسبه بعرق جبينه ، ويعيش في مجتمعه مرزأ منكوداً ، مشهوراً بين الناس بسوء السمعة وأكل الرشوة ، أما في الآخرة فيجد ما أعده الله لمن حقت عليه لعنته ، واستوجب نقمته ، ويطرد من رحمة الله التي وسعت كل شيء ، « ولا يدخل الجنة لحم ودم نبتا على سحت ، النار أولى به » كما جاء بذلك الحديث ، عن الصادق المصدق ﷺ .

وثمة عقوبة عامة للمجتمع الذي ينتشر فيه هذا الداء والوباء ، لاجماع أفراده على الباطل ، وسكوتهم على تعاطي الرشوة بينهم ، وتسميتها مصلحة ، وما هي في الواقع إلا منقصة ومذبحة ، يقول رسول الله ﷺ : « ما من قوم يظهر فيهم الربا إلا أخذوا بالسنة » ـ أي القحط ـ « وما من قوم تظهر فيهم الرشا إلا أخذوا بالرعب » أي أنه لايهدأ لهم بال ، لكثرة ما ينتابهم من الفواجع والأهوال ، فيا لسوء العاقبة في الحال والمآل .

إن الرشوة ياعباد الله داء خطير ، وشر مستطير ، إنها فساد للضمائر والذمم حين تستمرىء النفوس أكلها غنيمة باردة دون كد أو عناء ، وفي سبيلها

تنحرف عن سوء السبيل ، فتقلب الحق باطلاً والباطل حقاً ، إنها فساد المجتمع حيث تروج فيه ، فتتعطل المصالح إلا مصلحة يقدم صاحبها من أجلها رشوة ، إنها فساد الدين ، وحسبكم بجريرة ذنب يبوء صاحبه باللعنة على لسان سيد المرسلين ﷺ ، فاتقوا الله ياعباد الله، واعتبروا بمن مضى قبلكم من الأمم المحادة لله ، كيف حلت بهم نقمة الله ، وكيف توعد الله من سلك ، واجترأ على معصية الله .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ، نكفر عنكم سيئاتكم ، وندخلكم مدخلاً كريماً) .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه . أقول قولي هذا ، واستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله ، الإله الحق المعبود، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صاحب المقام المحمود ، والحوض المورود ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله : روي عن الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه ، أنه قال: « لدرهم حلال أتصدق به أحب إلي من مائة ألف ، ومائة ألف حرام ،

فإن شئتم فاقرأوا كتاب الله : (قل لا يستوي الخبيث والطيب ، ولو أعجبك كثرة الخبيث) » . وفي ذلك توجيه إلى العناية بالأخذ بالحلال، وهو الطيب الذي لا شبهة فيه ، ونبـذ الحرام وهو الخبيث في كل صوره وأشكاله ، وخاصة الرشوة بأي وسيلة ، فهي سحت تفسد الذمم والضمائر ، إلى جانب فسادها للدين .

٩ ـ في الحث على أداء الأمانات [١]

الحمد لله الهادي إلى صراطه المستقيم ، أحمده سبحانه ، وهو البر الرحيم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، حث على أداء الأمانة ، وهدى إلى النهج القويم ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، الدين الإسلامي في تعليماته وأحكامه ، وفي فضائله وآدابه وكمالاته ، أشبه بسلسلة متماسكة الحلقات محكمة الترابط، لا تنفك حلقاتها، ولا أوصالها ، فالصلاة والزكاة ، والصوم والحج والجهاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إلى جانبها البر والإحسان ، والتعاطف والتراحم ، كل أولئك فرائض وفضائل ، يقوم عليها صرح الاسلام ، فمن أخذ بها في مجموعها فقد أقام الاسلام .

---

(١) : ١٣٨١/٨/٦ هـ

وإن من شريعة الاسلام أداء الأمانات ، والقيام بما التزمه المرء من واجبات والتزامات ، صح في الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : ما خطبنا رسول الله ﷺ إلا قال : « لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ». وإن في طليعة الأمانات الواجب أداؤها فرائض الله التي افترضها على العباد ، ففي الإخلال بها ، أو التهاون بأدائها ، خيانة فيما ائتمن الله العبد عليه : (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال ، فأبين أن يحملنها ، وأشفقن منها ، وحملها الانسان ، إنه كان ظلوماً جهولا) ، ظلوماً لنفسه عندما عصا ربه ، ولم يقم بما افترض عليه ، جهولاً بعاقبة تفريطه ، وما يلحقه من العقاب لإخلاله بما التزمه ديناً وائتمن عليه ، ومن الأمانات الجوارح التي ركبها الرب جل جلاله في العبد ، وجعلها طيّعة له ، تأمر بأمره ، فيجب أن لا يستعملها إلا في طاعة الله ، وأن لا يسخّرها إلا فيما يكسبه رضاه فإن استعملها في معصية الله ، وسخّرها فيما يغضب الله ، فقد خان الأمانة ، وجنى الحسرة والندامة ، حين تشهد عليه الجوارح بما قدمت يداه : (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ، يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين) .

ومن الأمانة كتم أحاديث المجالس ، وما يجري فيها من رواية أخبار ، وإذاعة أسرار ، إلا ما كان فيه ضرر ماحق ، كمجالس المؤامرات ضد الأفراد

أو المجموع ، فان في ذلك خطراً وفساداً ، يقول رسول الله ﷺ : « المجلس بالأمانة » أي لا يحل افشاء سره « الا مجلس سفك دم حرام ، أو فرج حرام ، أو اقتطاع مال بغير حق » .

ومن ذلك افشاء سر من ائتمنك على سره ، وفي طليعة الأسرار ما يجـري بين المرء وزوجه ، مما يفضي به أحدهما إلى الآخر فان التحـدث به خيـانة للأمانة ، يقول رسول الله ﷺ : « من أعظم الأمانة عنـد الله يوم القيامة : الرجل يفضي إلى امرأته ، وتفضي اليه ثم ينشر سرها » .

ومن الأمانة بالنسبة لأرباب المناصب والسلطة أن لا يستغلوا نفوذهم في جر مغنم لأنفسهم ، أو لمن يلوذ بهم ، على حساب من يلون مصالحهم ، أو ترتبط بهم شؤونهم ، كمن يستغل منصبه في تضخيم مورده بالطرق الملتوية ، إما بتناول رشوة ، أو هدية وهي في واقعها رشوة ، يتأول لاستحلالها بتأويلات باطلة ، وإما بمحاباة قريب ، أو مجاملة صديق ، بما فيه ضرر على المجموع ، أو بأية وسيلة من وسائل استغلال النفوذ ، فكل ذلك خيانة في الأمانة التي ائتمن عليها ، بل غلول محرم ، سيجر على صاحبه أسوأ العواقب ، يقول رسـول الله ﷺ : « من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً ، فما أخذه بعد ذلك فهو غلول » . (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) .

ألا وإن الودائع التي يودعها الناس بعضهم بعضاً للثقة المتّبادلة بينهم أمانات

يجب أداؤها ، وعدم التفريط فيها ، وإلا كان التفريط والتقصير فيها خيانة ، وعاملاً على فقدان الثقة ، وبرهاناً على فساد الضمائر ، لقد أخبر رسول الهدى ﷺ بما يقع في أمته من ذلك في حديث طويل، يقول حذيفة رضي الله عنه : ثم حدثنا ـ أي رسول الله ﷺ ـ عن رفع الأمانة فقال : « ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه ، فيظل أثرها مثل الوكت ـ أي كالنقطة ـ إلى أن قال : فيصبح الناس يتبايعون ، لا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال : إن في بني فلان رجلاً أميناً » وما ذاك إلا لندرة الأمناء ، وفقدان الثقة بين المجموع .

كما تحدث رسول الهدى عن ضياع الأمانة في أمته ، تحدث عن مصير الخائن في أمانته ، وجزاء المستحل لوديعته ، فقال : يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقال له : أَدِّ أمانتك ، فيقول : أي رب كيف وقد ذهبت الدنيا ؟ ! فيقال : انطلقوا به إلى الهاوية ، وتمثل له أمانته كهيئتها يوم دفعت إليه ، فيهوي في أثرها حتى يدركها ، فيحملها على منكبه ، حتى إذا ظن أنه خارج زلت عن منكبه ، فيهوي في أثرها » .

فاتقوا الله عباد الله ، وحافظوا على أداء الأمانات على إختلاف ألوانها ، سواء ما كان منها حقاً لله، كالفروض التي افترضها الله، أو حقاً لعباده كالمعاملات والعقود ، وكالودائع التي يودعها الناس بعضهم بعضاً ، ففي أداء الأمانة برهان

على الايمان ، وفي التقصير فيها والتفريط في أدائها على الوجه الأكمل خيانة وقدح في الاسلام .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : (ياأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، ولسائر المسلمين من كل ذنب . فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية [1]

الحمد لله السميع البصير . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، البشير النذير ، والسراج المنير ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، بعث رسول الله ﷺ رجلاً ليقبض له الزكاة ، فلما قدم بها قال : هذا لكم ، وهذا أهدي لي ، فقام رسول الله ﷺ خطيباً ، وقال : « إني أستعمل الرجل منكم على العمل بما ولاني الله ، فيأتي فيقول : هذا لكم ، وهذا هدية أهدي لي ، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقاً ؟! والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم

(١) في ٢٣ / ٦ / ١٣٨١ هـ .

القيامة » . وفي ذلك يا عباد الله وعيد واضح لمن يستغل نفوذه ، ويستبيح لنفسه أن يأخذ ما لا يحل له أخذه ، من هدية واختلاس يزعم أنه مصلحة ، وهو خيانة في الأمانة ، وسحت ، لا يبارك له فيه ، بل عليه الوزر وعسير الحساب .

١٠ ـــ في الحث على إقامة
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١]

الحمد لله يهدي إلى الحق ومنهج السداد ، أحمده سبحانه ، شرع لعباده الأمر بالمعروف إقامة للحجة ، ودرءاً للفساد ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، وضع المعالم لطريق الرشاد . اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ! إن المجتمع الصالح الراشد المسدد ، هو المجتمع الذي يتعاون أفراده على الخير ، وتتضافر جهودهم لدفع الشر ، ونفي الخبيث ، والأخذ على يد الظالم، وذلك ما ينطبق تمام الانطباق على المجتمع الاسلامي الصالح ، فهو الذي وصف واقعه رب العزة بقوله : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ، إن

(١) في ٢٦ / ٦ / ١٣٨٢ هـ .

الله عزيز حكيم) . فأوضح سبحانه أن عوامل الصلاح والرشاد ، الأخذ في سبل الطاعة ، وفي طليعتها أداء الفرائض ، وإقامة معالم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، على الأسس الصحيحة التي وصفها الاسلام ، وأمر بها ، وشجع عليها رب العزة إذ يقول : (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون) .

فالمرء يكمل نفسه ويزكيها بالطاعة ، ويكمل مجتمعه ويرتفع إلى مراقي الفلاح بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقديماً رد الخليفة أبو بكر رضي الله عنه على من يتنصل من إقامة الأمر بالمعروف ، بدعوى أن ذلك لا يعنيه ، فكل امرىء مؤاخذ بجرير عمله ، قال : يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية : (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقابه » . والظالم كل من تعدى حدود الله ، وانتهك محارم الله ، في أي قول أو فعل ، فإن جنايته إذا لم يقوم ويؤخذ على يديه سوف تعم الصالح والطالح ، كما قال تعالى : (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب) . قال ابن عباس في تفسيرها : أمر الله المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين ظهرانيهم ، فيعمهم الله بالعذاب .

وقد حدد رسول الله ﷺ درجات إنكار المنكر وحمل كل فرد من الأمة

مسؤولية القيام به ، وعدم التهرب منه ، وإلقاء العبء على غيره فقال : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان » . فمن قدر على الانكار باليد يجب أن لا يعـدل إلى الانكار باللسان ، ومن عجز عن الانكار باللسان لن يعجز أن ينكر بالقلب ، فليس ثمة صولة أو جبروت يحول بين المرء وقلبه ، ويمنعه من إنكار المنكر في أضعف درجاته إعذاراً إلى الله ، وخروجاً عن إقرار الباطل ، والتواطىء عليه .

وإن السعيد الحصيف - يا عباد الله - من وعظ بغيره ، فكم سمع الناس من أخبار الماضين ، وأخذ الله للطغاة الظالمين ، لمجاوزتهم حدود الله ، مما فيه عظة وعبرة ، كما قال تعالى: (وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة ، وأنشأنا بعدها قوماً آخرين ، فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون ، لا تركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون ، قالوا : يا ويلنا إنا كنا ظالمين ، فما زالت تلك دعواهم ، حتى جعلناهم حصيداً خامدين) .

وفيما صح به النقل عن سيد المرسلين من أخبار بني إسرائيل قوله: « إن أول النقص على بني إسرائيل ، إنه كان الرجل يلقى الرجل أي على المعصية فيقول : يا هذا إتق الله ، ودع ما تصنع ، فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله ، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده » أي :

لا يكون له معه موقف رادع زاجر يقومه ويأخذ على يديه ، ليرتدع عن معصيته « فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض » ثم قال:(لعن الذين كفروا من بني إسرائيل ، على لسان داوود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون).

ثم حذر رسول الله ﷺ أمته شفقة بهم أن يصيبهم مثل ما أصاب بني إسرائيل ، إذا سلكوا مسالكهم ، واقتدوا بفعالهم ، في إضاعة الأمر والنهي والسكوت على المنكر ، فضلا عن التضامن في الباطل ، والتضافر على هدم معالم الحق ، فقال مؤكداً قوله بالقسم : « كلا والله لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد الظالم ، ولتأطرنه على الحق أطراً - أي لتقسرنه على لزوم الحق ، والترفع عن الظلم في كل مجال - أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم » .

إنها يا عباد الله مسؤولية عظمى ، حملها رسول الهدى كل فرد في الأمة حسب إمكانياته ، في القيام بها سلامة المجتمع ، والابقاء عليه ، فاتقوا الله يا عباد الله ، ولتتضافر منكم الجهود ، ولتصح العزائم ، للأخذ في سبل الاصلاح ، وللقضاء على الفساد في مهده ، وإقامة الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، على القريب والبعيد ، والرئيس والمرؤوس ، والأمير والصعلوك ، على حد سواء .

فاتقوا الله يا عباد الله ، ويجب أن لا تأخذكم في الحق لومة لائم، ولا سطوة جبار ، (إن تنصروا الله ينصركم ، ويثبت أقدامكم) إنكم إن فعلتم ذلك كنتم على جانب عظيم من الصلاح والاصلاح ، والحفاظ على تراث سلفكم الصالح ، الذين رفع الله ذكرهم ، وامتدحهم في محكم الكتاب بجليل أعمالهم ، فقال : (كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله) .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية (1)

الحمد لله نحمده ونستغفره ، إنه كان غفاراً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، أقام للآمر بالمعروف مناراً ، ونهى عن المنكر سراً وجهاراً .

أما بعد ، فيا عباد الله ! لقد ضرب رسول الله ﷺ المثل ، في تماسك المجتمع وتضامنه ، وتعاونه على إقامة الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فقال : « مثل القائم في حدود الله » ـ أي المنكر لما نهى الله عنه ـ « والواقع فيها » أي المرتكب للمعاصي « كمثل قوم استهموا » ـ أي اقترعوا ـ « على سفينة،

(١) في ١٣٨٢/٦/٢٦ هـ

فصار بعضهم في أعلاها وبعضهم أسفلها ، وكان الذين في اسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا ـ أي بمرورنا عليهم ـ فإن تركوهم وما أرادوا ـ أي من خرق السفينة ـ هلكوا جميعاً ، وأن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً » . هو مثل يصور واقع المجتمع حين يأخذ بالأمر بالمعروف ضماناً للنجاة والسلامة .

١١ ـ في الحث على التثبت في رواية الاخبار (١)

الحمد لله ، يهدي من يشاء إلى صراط مستقم ، أحمده سبحانه ، وهو الرب الحليم الكريم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صاحب النهج القويم ، والخلق العظيم ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ! الحكم بصلاح أي مجتمع واستقامته ، أو فساده وانحلاله ، يكون بمجموعة الأخلاق السائدة بين أفراده ، والفضائل التي يتحلون بها ، أو الرذائل التي ينزلقون اليها ، ولقد حظر رسول الهدى ﷺ على أصحابه من الجلوس في الطرقات ، إمعاناً في التصوّن ، وسداً للخلل ، وستراً لما لعله أن يبدر منهم على مرأى من الناس ومسمع ، من فلتات ، بحكم بشريتهم ، تعطي الأعداء صكاً بالحكم على المجتمع الاسلامي بما يلحظ من سقطات ومآخذ على

---

(١) في ٢٧ / ٥ / ١٣٨٢ هـ

أفراده ، ففي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « إياكم والجلوس في الطرقات » ، قالوا يارسول الله : مالنا من مجالسنا بد ، نتحدث فيها ـ كانت لهم في الطرق مجالس تضم شتاتهم ، وتربط بين البعيد والقريب منهم ، فلم تكن لهم مجالس استقبال ، أو ندوات تلم شعثهم ـ فقال رسول الله ﷺ : « وإذا أبيتم الا المجلس ، فاعطوا الطريق حقه : غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر » وفي رواية : « وتغيثوا الملهوف ، وتهدوا الضال » .

ففي القيام بذلك مجتمعاً ، أو بقدر ما تدعو اليه الحاجة منه ، تحقيق لأغراض تهذيبية اجتماعية تعاونية ، يهدف اليها الهادي البشير ﷺ . ففي غض البصر وكف الأذى : غرض تهذيبي ، يرتفع بالنفوس عن مجالب الاثم ، ومزلة الأقدام ، وفي رد التحية بمثلها ، أو بأحسن منها مقابلة للإحسان بالإحسان ، واشاعة للأمان والإطمئنان ، وكم ترك رد التحية في النفوس الخيرة من الأثر الطيب المحمود ، حتى لقد أصبح من أكبر العوامل لإزالة الضغائن ، والقضاء على المحن والمشاكل ، وفي القاء مسؤولية القيام بالأمر بالمعروف ، لمن يتخذ من الطريق مجلساً إلزام بالسير على الجادة ، وتكتل الجماعة للصالح العام ، لئلا يبقى في المجتمع شاذ بخلق ذميم ، أو ناد بطبيعة لا تتمشى مع الدين وأخلاق المؤمنين ، وذلك ماتفرضه ولاية المسلم للمسلم ـ كما قال تعالى : (والمؤمنون والمؤمنات

بعضم أولياء بعض . يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم) ثم في اغاثة الملهوف ، وهداية الضال ، تعاون على الخير وتضامن في البر ، ومظهر كريم لترابط الأخوة في الله ، وتساندهم في السراء والضراء ، يظهر فيه بوضوح معنى الحديث الشريف : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » .

وبهذا المسلك الرشيد السديد ، سار الرعيل الأول من المسلمين ، يذللون صعوبات الحياة ، ويتغلبون على عقباتها ، دين قويم لا يغلبهم عليه زخرف الحياة ، وخلق متين لا يصرفهم عن التخلق به اغراء الشهوة ، أو سعار الصبوة (أولئك على هدى من ربهم ، وأولئك هم المفلحون) . ثم خلف من بعدهم خلف ، حظهم من الاسلام الاسم فقط ، اقاموا في الطرقات ، بل وفي بيوت الله مجالس للتسلية والترفيه ، وغدت لهم ندوات ومجتمعات للقيل والقال ، والخوض في الأحاديث ، ونقل الأخبار دون وعي وتثبت ، مطيتهم في ذلك : زعموا ، وقالوا ، قالوا : حدث كذا ، ويقولون : انتصر فلان ، وانهزم فلان ، وأقيل فلان ، وأيد في عمله فلان .. ! « وبئس مطية الرجل زعموا » . كما صح بذلك الحديث عن حذيفة رضي الله عنه لأن « زعموا » في الواقع ما هي إلا مطية الكذب ، فكل صاحب غرض أو هوى لا يجد متنفساً لما في صدره من

شرور إلا تلفيق الأكاذيب ، ورواية الأخبار المغرضة تحت ستار : زعموا ، و « قالوا » متنصلاً من المسؤولية العظيمة في ذلك ، وهيهات أن يسلم من جريرة الفرية ، وجرم رواية الأخبار الملفقة ، وإشاعة ما فيه البلبلة الرأي العام، أو مفسدة لمصالح الأمة ، ولقد صح عن الصادق المصدوق ﷺ أنه قال : « كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع » . ذلك لأن كل ما يسمعه المرء يختلط فيه الصدق بالكذب ، والجائز بالمستحيل ، فتحدث روايته اضطراب الأحوال، وبلبلة الأفكار ، وعدم الهدوء والاستقرار وإن مما أرشد الله اليه عباده المؤمنين كقاعدة عامة في قبول الأخبار وتصديقها التثبت من روايتها لئلا تنشأ مفسدة في الأخذ بها دون دراية وعناية ، فقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) - أي تثبتوا - (أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) .

وفي قصة الإفك ، الذي رميت به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تأنيب في نقل خبر السوء وإشاعته بين الناس ، دون تعقل في نتائج نقله ، وما يحدثه من ضرر وخطر قال تعالى : (إذ تلقونه بألسنتكم ، وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم) - أي تروونه ، وتتحدثون بما لا تعلمون صدقه من كذبه - (وتحسبونه هيناً ، وهو عند الله عظيم) ، وهو مبدأ إسلامي ، يوحي بالتحفظ ، وعدم التسرع في رواية الأخبار وإن سمعها من إذاعة ، أو قيل : إنها من مصدر موثوق ، و « كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع » .

فاتقوا الله عباد الله ، وتأدبوا بآداب الاسلام ، فالاسلام مجموعة من الأوامر والنواهي ، وحشد من الفضائل والآداب ، والتكملات في الأخذ بها مجتمعة ، قيام أمر الاسلام ، وتوثيق للرابط بين أهل الاسلام ، وحفظ من التحلل الديني، والانهيار الخلقي ، واتقاء أعداء الاسلام من أن يحكموا على المجتمع الاسلامي بما يبدر من أخلاق أدعياء الاسلام .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ، ومن يتبع خطوات الشيطان فأنه يأمر بالفحشاء والمنكر ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ، ولكن الله يزكي من يشاء ، والله سميع عليم) .

نفعني الله واياكم بهدي كتابه . أقول قولي هذا ، واستغفر الله العظيم لي ولكم ؛ ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، انه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله ، يبسط الرحمة على عباده ، ويعفو عن السيئات ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، أشرف الخلق ، المؤيد بالمعجزات ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أمـا بعد ، فيا عباد الله ! جـاء عن الصحابي الجليل ، عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « إن الشيطان ليتمثل في صورة الرجـل ، فيأتي القوم فيحدثهم بالحديث من الكذب ، فيتفرقون ويقول الرجل منهم : سمعت رجلاً أعرف وجهه ، ولا أدري ما اسمـه ، يحدث » أي ينقل اليهم الأخبار الملفقة ، فيأخذونها قضية مسلمة ، ويشيعونهـا بين الناس ، كأنها واقـع لاشك فيه ، فيكون لها الأثر السيىء في نفوسهم ، ورد الفعل القبيـح في مجتمعهم .

١٢ ـ في الحث على الأخذ بصفات أولي الألباب (١)

الحمد لله ، حمد أرباب النهى ، أحمده سبحانه على ترادف نعمه التي لا تحصى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الحوض والشفاعة العظمى ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه .

أما بعـد ، فيا عباد الله ، إن من دأب العقلاء أولي البصائر النيرة ، الأخذ بأسباب النجاة ، ومسلك السعادة ، حرصاً على حسن العاقبة ، وكثيراً ما يعرض القرآن لمـدحهم على ذلك ، والثناء عليهم بكريم خصالهم ؛ وجميل أوصافهم ، كما قال تعالى : (إنما يتذكر أولوا الألباب ، الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون

(١) في ١٣٨٢/٥/٢٠ هـ

الميثاق ، والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ، ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب، والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم، وأقاموا الصلاة، وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ، ويدرؤن بالحسنة السيئة) .

تلكم ياعباد الله بعض أوصاف أولي الألباب ، وهي على ترتيب الآية الكريمة : وفاء بالعهد الذي قطعه المرء على نفسه لا يخيس فيه ، وعدم نقض للميثاق الذي وثقه بالله ، وأشهد الله على المضي فيه ، لا يحمله على عدم الوفاء ، أو على النكث إغراء بالمادة ، أو تلويح بالسراب الخادع ، فعهد الله واجب الوفاء حتماً ، ونقض الميثاق جريمة كبرى ، تنذر بالهلكة والدمار ، شريطة أن يكون العهد المقطوع به ، والميثاق المؤكد في أمر مشروع ، لا أن يكون في هدم حق أو إقرار باطل ، أو في القيام بمؤامرة تهدد الأمن ، أو الخروج على ذي سلطان ، فكل ذلك حرام أن يفي به المرء ، بل يجب نقضه ، وهدم ميثاقه لأنه تعاون على الإثم والعدوان (وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) ثم صلة الارحام والاحسان اليهم ، وتحمل ما يبدو منهم من جفوة وملام ، كما جاء في حديث قدسي : « أنا الله ، وأنا الرحمن ، خلقت الرحم وشققت لها من اسمي فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته » . ثم الخشية من الله، والخوف من عذابه ، والرهبة من مناقشة الحساب ، والحذر من سوء المصير .

ومن هذا شأنه فهو حري أن لايميل عن الهدى الى الهوى ، بل يستشرف أن يكون على الدوام ممن أثنى الله عليهم بقوله : (قد أفلح من

تزكى، وذكر اسم ربه فصلى) ثم الصبر في كل وجوهه ، ابتغاء رضوان الله : صبر على الطاعات ، وما تتطلبه من إخلاص وجهد ، وصبر عن المعاصي ، وما يفرضه من كبح جماع النفس عن الصبوات والنزوات ، وصبر على أقدار الله المؤلمة ، وما يوجبه من استسلام ورضا واحتساب ، وفي مجموع ذلك تتفاوت الدرجات وتختلف الملكات ، فكلما كان العبد أكثر صبراً واحتساباً ، كان أعظم أجراً وأوفر جزاءاً ، (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) ثم أقام الصلوات المكتوبة في أوقاتها دون خلل بها، أو ملل أو تشاغل عنها بصوارف الحياة ، من كدح في جمع الحطام ، أو سكرة بالمنصب والجاه العريض والسلطان ، أو انغماس في اللهو في مختلف ألوانه وفنونه ، (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) .

ثم الانفاق في أوجه البر والاحسان ، وفي مختلف المشاريع ، ومضامير الخير ، عن طيب نفس ، دون قسر أو إرهاب ـ سواء كان الإنفاق في صدقات على البؤساء والمحرمين ، أو كان في مشاريع نافعة للأمة ، كإنشاء الملاجئ والمستشفيات ، وبناء المدارس ودور الأيتام ، وغير ذلك مما فيه نفع عام للأمة والأجر فيه على النية ، ومدى الإخلاص : (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً) ثم درء السيئة بالحسنى ، ودفع القبيح بالجميل ، كما أدب بذلك العباد رب العزة حيث يقول : (إدفع بالتي هي أحسن

فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم، وما يلقاها إلا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) .

فإذا ملك المرء زمام نفسه ، وأخذ بأسباب النجاة ، وسلك مسالك السعادة فهو من أولي الألباب ، الذين رفع الله من شأنهم ، وأثنى عليهم ، ووعدهم بالجزاء الكريم كما قال تعالى بعد سرد صفاتهم: (أولئك لهم عقبى الدار ، جنات عدن ، يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) .

وعلى العكس من هذا الفريق الراشد الصالح ، من كان على النقيض منهم في صفاتهم ، وكريم خلالهم ، أولئك الذين توعدهم الله باللعنة وسوء العاقبة ، كما ندد بهم رب العزة في محكم التنزيل ، فقال : (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ، ويفسدون في الأرض ، أولئك لهم اللعنة ، ولهم سوء الدار) .

فاتقوا الله ياعباد الله ، واعملوا جاهدين بمناهج الصالحين ، وخذوا بأسباب النجاة ، ومسالك السعادة ، لتكونوا من أولي الألباب ، الذين امتدحهم الله في محكم الكتاب فقال : (فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولوا الألباب) .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه . أقول قولي هـذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، انه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله حمد عبد يرجو من الله النجاة وحسن العقبى ، وأشهـد ان لا إله إلا الله وحـده لاشريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ،خير من دعى إلى الهدى ، والعملِ بالتقوى ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، وعد الله من استجاب له وأطاعـه ، واتبع أمره واجتنب نهيه بالحسنى ، وهي الجنة دار الكرامة والنعيم ، كما توعد من اتبع الهوى ، وباعد عن مسالك الهدى ، بالنار ـ وبئست النار من قرار، قال تعالى: (للذين استجابوا لربهم الحسنى ، والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معـه لافتدوا بـه ، أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد) ، فكونوا عباد الله ممن استجاب لله فنال رضاه ، وكانت الجنة مثواه .

١٣ ـ في الحث على أخذ الاسوة الحسنة[١]

الحمد لله يتولى الصالحين ، أحمده سبحانه على نعمه ، وأشكره والشكر واجب له في كل حين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسله الله هادياً ورحمة للعالمين ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعـــد ، فيا عباد الله ، الأسوة الحسنة والقدوة الصالحـة ، محط آمال العقلاء ، وغاية أمانيهم ، لأنها نهج راشد ، وطريق مستقيم ، وإن في طليعة من تجب أخذ الأسوة الحسنة منهم ، والاقتداء بأفعالهم وأقوالهم ، وكريم شمائلهم ، رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ فهم الصفوة مـــن خلق الله ، المهتدون بهداية الله ، وقد أمر الله رسوله المصطفى ﷺ ـ بالاقتـداء بهم قال تعالى : (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) أي سر على نهجهم واقتَـــد بهـدايتهم .

وإذا كان الرسول ﷺ مأموراً بأخـذ الأسوة، والقدوة من سلفه رسل الله ، فأمته حرية أن تأخذ الأسوة والقدوة منه ، كما وجهها إلى ذلك رب العزة حيث يقول : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيراً) أي أن أخذ الأسوة من رسول الله ، هو لمن يرجو

(١) في ١٢ / ٦ / ١٣٨٢ هـ .

ثواب الله ، ويخشى العذاب يوم الحساب ، وفي هذا التوجيه الكريم ما يحفز كل ذي عقل رشيد ، أن يضع نصب عينيه أخذ الأسوة والقدوة من سيد الخلق أجمعين ، وفي أقواله وأفعاله ، وفي مناهجه وشمائله، فهو المثل الكامل للانسانية ، وهو الذي خاطبه ربه بقوله معظماً لشأنه : (وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ، ألا إلى الله تصير الأمور) ، وقال عن كريم شمائله ورفعة خلقه : (وإنك لعلى خلق عظيم) .

يلي ذلك أخذ الأسوة والقدوة الصالحة من خيار الأمة ، وفي طليعتهم أهل القرون المفضلة ، المشهود لها بالهداية كما قال ﷺ : « خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » . وهكذا في كل زمان يجب أخذ الأسوة والقدوة الصالحة ، من أهل الفضل ، والعلماء العاملين بعلمهم ، الذين يتقون الله في سرهم وعلانيتهم فهم ممن هدى الله ، ففي السير على هدايتهم ، وأخذ الأسوة منهم فلاح وصلاح .

أما الأسوة السيئة التي منيت بها المجتمعات الاسلامية ، في أعقاب الزمن ، والتي تتمثل في كل مجالات الحياة ، فهي في الواقع نكسة في الدين والخلق ، يجب أن يترفع عنها المسلم، إبقاء على دينه ، وتصوناً لخلقه ، وإن عمت في الناس وشملت جميع الطبقات، حيث أصبح يمثلها العلماء الذين لا يعملون بعلمهم ، والذين

لا يعظمون العلم في النفوس باستقامتهم، بل يطلبون به المناصب والجاه والسلطة فكانوا في المجتمع أسوأ أسوة ، ألا بئست الأسوة .

ويمثلها أيضاً الوعاظ والمرشدون ، الذين لا يأتمرون بما يأمرون ، والذين يصفون الدواء للعلة التي هم بها مبتلون ، مخبرهم لا يطابق مظهرهم ، فبئست الأسوة والقدوة بهم !!

ويمثلها أيضاً : المسؤول الذي لا يقدر مسؤوليته ، سواء كان وزيراً خطيراً ، أو موظفاً صغيراً ، تراه يتلاعب بمصالح الناس ، ويهمل الواجب عليه نحوهم ، وله معهم في كل يوم وعود متكررة ، يبدي لهم من ألوان العظمة الكاذبة ، ككثرة الخدم والحجاب ، وقفل الأبواب ، والنظر إليهم بعين الازدراء ما يستر نقصه وعجزه ، ويغطي به على إهماله ، وفيهم من هو خير منه ديناً وخلقاً ، وعلماً وفضلاً ونبلاً ، وحسباً ونسباً ، وتكون الطامة ـ لو حاد عن الحق وجنح إلى الظلم مجاراة لرئيسه أو محاباة للمحسوب عليه ، أو طمعاً في فيض الرشوة المحرمة التي تفسد الذمم والأديان وتميت الضمائر ، ألا بئست الأسوة والقدوة بهم !.

ويمثلها أيضاً : الاذاعات التي تذيع الاثم بين المجموع ، وتحيي الليل أو أكثره في أغاني الحب والغرام ، وشكوى الهجر والهيام ، وفي كل بيت فتيان وفتيات يغزوهم الإثم في عقر دورهم ، ويكون لهم فيه أسوأ قدوة ، حيث

ينشأ جيل مائع ، منحرف عن الدين القويم ، والخلق المتين ، ألا بئست الأسوة والقدوة !!

ويمثلها أيضاً : النساء المتبرجات، اللائي يغشين المساجد ويذرعن الأسواق، وهن في وضع لا يشرف القوامين عليهن من أزواج وإخوان وأقربين ، يبرأ منه الدين ، ألا بئست الأسوة فيهن !.

ويمثلها أيضاً : احتكار التاجر ، وغش الصانع ، وجشع البائع ، واليمين الفاجرة من شاهد الزور .

كل ذلك يا عباد الله وغيره من أمثال الأسوة السيئة ، والقدوة الفاسدة ، يجب أن يجتنبها المسلم الذي يعتز بدينه ، لأنها انسلاخ عما هو مفروض عليه من اقتران العلم بالعمل ، وتصديق المخبر للمظهر ، وتقدير المسؤولية المشاعة بين المجموع ، كل بحسبه ، والترفع عن الاسفاف في كل مجال ، والاستقامة على نهج الهدى ، وإن المسلم الواعي ـ يا عباد الله ـ ليتوقع من وراء تفشي أمثال هذه القدوات السيئة ، مستقبلاً مظلماً مخيفاً ، ينذر بحلول النقمة ، وسوء المصير (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) .

فاتقوا الله عباد الله ، وتداركوا الفارط من أموركم ، واستصلحوا الوضع الفاسد والخلق الذميم ، وخذوا الأسوة الحسنة ، والقدوة الصالحة ، من هدي الرسول الكريم وخلفائه وصحابته ، ثم من أولي الفقه والدين ، والعلماء العاملين،

ولا تكونوا ممن تمادى في الغي وأخذ الأسوة من غير البررة الصالحين، فذلك شأن من نسي الله فأنساه العمل على مافيه صلاح نفسه ، وسعادة دنياه وآخرته.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر كل نفس ما قدمت لغد ، واتقوا الله ، إن الله خبير بما تعملون ، ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، أولئك هم الفاسقون . لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة ، أصحاب الجنة هم الفائزون) .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ،ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله العظيم الحليم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صاحب الخلق العظيم ، والنهج القويم، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ! خير ما يصور واقع الأسوة الحسنة كتاب الله ، فيه مناهج الصالحين، والأخبار عن مسالك المنحرفين ، ومصير كل من الفريقين فمن أخذ به رشد ، ومن اتخذ منه إماماً فقد هدي إلى صراط مستقيم .

١٤ ـــ في الحث على إشغال وقت الفراغ بالنافع [١]

الحمد لله المتحبب لعباده بترادف نعمائه، أحمده سبحانه على سرائه وضرائه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، أفضل من عرف الله وشكره على نعمه وآلائه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، إذا كانت النعم فيضاً من المولى الكريم لا يقف تتابعه ، وغيثاً لا يكف هطوله ، كما قال تعالى : (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) فإن من بين هذا الفيض نعمتين ، يغبن فيهما الكثير من الناس ، أفصح عنهما رسول الهدى ﷺ بقوله : « نعمتان مغبون فيهما الكثير من الناس : الصحة والفراغ » .

فالكثير ممن حفظ الله له الصحة ، ومتعه بالسمع والبصر والقوة ، والكثير ممن هو في ميعة الصبا ، ملء السمع والبصر نضرة وبهاء، وصحة وفتوة ، الكثير من هؤلاء وأولئك ، مغبون في صحته إذا لم يستعملها في طاعة الله ، وبلوغ مرضاته ، وإذا لم يوقفها للعمل على ما فيه سعادته وفلاحه ، في دنياه وآخرته، فإن آفة النعم ـ يا عباد الله ـ الزوال بما في ذلك الصحة ، فكم من صحيح الجسم ممتلىء الإهاب ، براه السقام ، فذهبت نضرة عافيته ، وسعى إلى الشيخوخة في خطوات سريعة . فاذا لم يكن قد تغانم ماضي صحته ، وأيام نشاطه

---

(١) ٩ / ٦ / ١٣٨١ هـ .

وزهرة شبابه ، واتخذ إلى ربه سبيلاً ، وادخر عملاً صالحاً ، بل كان على العكس من ذلك ، أضاع الفرصة في اتباع الهوى ، وصرف صحته في النزوات الطائشة والشهوات المحرمة ، غبن في صحته غبناً أعقبه حسرة وندامة ، وهيهات أن تجدي الحسرة والندامة بعد فوات الفرصة ، وجه رسول الله ﷺ رجلاً من أصحابه فقال : « اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك » .

والفراغ نعمة من نعم الله على عباده ، وهو خلو الوقت من الشواغل ، وخلو القلب من متاعب الحياة ومشاكلها ، فإذا منّ الله على العبد بالراحة من ذلك ، وصفا له الزمان ، أفلا يجدر به أن يؤدي شكر هذه النعمة ، بصرف أوقات فراغه في الأصلح والأمثل والأنفع بالنسبة له ولمجتمعه ، فيكرس جهوده ، في كل مجالات الخير ، مما يكسبه أجراً ، أو يرفع له في العالمين ذكراً ، ومجالات الخير ميدان لاستباق الفضائل ، وهو كفيل باشغال الفراغ ، فمن قعد عن استباقه فقد غبن لاضاعة الفرصة ، والتقصير عن شكر النعمة .

أما من يقطع الوقت لهواً ولعباً ، ويشغل أوقات الفراغ بالعبث والمجون والتهريج ، أو في العكوف على كتب الأساطير والقصص نسيجة الخيال ، أو القصص الخليعة ، وأحاديث الغرام التي تستثير الغرائز الكامنة ، وتحرض على الرذيلة ، كل أولئك ممن اشتغل بالخسيس الأدنى ، وأضاع الوقت الثمين سدى ،

وغبن غبنـاً فاحشاً ، كان ممن عظمت مسؤوليته أمام مسدي النعم ، ونوقش الحساب كما جاء في الحديث : « لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس : عن عمره فيم أفنـاه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وماذا عمل فيم علم » .

وأقبح من هذا الفريق مسلكاً ، وأسوأ عاقبة، وأكثر غبناً ؛ من قطع الفراغ في القيل والقال ، والتجسس لفلان على فلان ، طمعاً في جر مغنم لنفسه ، أو لضعته وهوان نفسيته ، أو مشى بالنميمة ، وأذاع الأراجيف ، وروج الأخبار الكاذبة ، وأشاع الفاحشة ، أو اشتغل بالمهاترات الفاضحة ، والهمز واللمز والسخرية ، والنيل من المسلمين ، والتشهير بهم ، أولئكم يا عباد الله ممن (ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً) وهم ممن توعدهم الله بقوله : (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ، فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً) وإن في امتداد آجالهم ، واتساع أوقات فراغهم وبالاً عليهم ، ومضاعفة لأوزارهم ، وفساداً لمجتمعهم .

فاتقوا الله يا عباد الله ، وقدروا نعم الله بالشكر ، والعمل بطاعة الله ، واستغلوا فرصة الصحة في الأبدان ، وفراغ الأذهان ، في الأخذ بالأصلح والأنفع ، مما تتوفر به السعادة في الدنيا والآخرة ، ويكون برهاناً لشكر المنعم الكريم المنان .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : (وإذ تأذن ربكم ، لأن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد) .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه . أقول قولي هـذا ، واستغفر الله العظيم لي ولـكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، انه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية ـ تصلح لجميع الخطب

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله الله بالهدى ودين الحق وأمده بالمعجزات ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، شكر النعم سبيل الصالحين ، ونهج المرسلين ، وقد أمر الله عباده أن يذكروا نعمه فيشكروها (يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم ، هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض ؟) فاعرفوا يا عباد الله نعم الله ، وأدوا شكرها ، واستعملوها في الطاعة ، بما في ذلك الصحة والفراغ ، يزدكم من فيض نعمه ، ويغدق عليكم من واسع فضله ، والله ذو الفضل العظيم ، وصلوا على رسول رب العالمين ، سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين ، فقد أمر الله بذلك في كتابه المبين : (إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، نبي الرحمة ، وارض اللهم عن خلفائه الأربعة : أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وعن سائر الصحابة والتابعين ، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين ، وعنا معهم بعفوك وكرمك وجودك وإحسانك ، يا جواد يا كريم .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، واحم حوزة الدين ، ودمر اليهود وأعوانهم من المستعمرين المفسدين ، وألف بين قلوب المسلمين ، ووحد صفوفهم ، وأصلح قادتهم ، واجمع كلمتهم على الحق يارب العالمين ، اللهم آمنا في أوطاننا ، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك ، واتبع رضاك يا أرحم الراحمين .

اللهم إنا نسألك شكر النعمة ، وزوال النقمة ، ودخول الجنة ، ونسألك من خير ما تعلم ، ونعوذ بك من شر ما تعلم ، ونستغفرك من كل ما تعلم ، إنك أنت علام الغيوب ، (ربنا ظلمنا أنفسنا ، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) ، (ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار) .

عباد الله : (إن الله يأمر بالعدل والاحسان ، وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظكم لعلكم تذكرون) . فاذكروا الله على نعمه ، واشكروه على آلائه ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون .

١٥ ـ في التنفير من التخلق بأخلاق ذي الوجهين [١]

الحمد لله المطلع على السر والخفيات ، أحمده سبحانه ، يجزي السيئة بمثلها ، ويضاعف الحسنات ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، نبي الهدى ، المؤيد بالمعجزات ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله في دنيا النبات طفيليات تعيش على حساب النبت الصالح ، تعرقل سيره ، وتفسد عليه حياته ، إنها ياعباد الله مثل لفريق من الناس يعيش في أكناف الناس ، وعلى حسابهم ، يأخذ عليهم الطريق ، ويصدهم عن مسالك الرشاد ، ونهج السداد ، دأبه الافساد بينهم ، وديدنه القضاء على رابطتهم ، هو عبء على المجتمع ، وعنصر هدام في كيانه ، وصفه رسول الهدى ﷺ بأقبح وصف ، وحكى واقعه بما ينفر عنه ويوحي بالاحتراز منه ، وصفه رسول الله ﷺ بذي الوجهين ، وأخبر أنه من شرار الناس ، لعظم جرمه ، وفساد طويته ، وخبث محاولاته ، وبشاعة مواقفه وفساد صنيعه ، يقول رسول الله ﷺ : « تجدون من شرار الناس ذا الوجهين ، يأتي هؤلاء بوجه ، وهؤلاء بوجه » .

إنه ياعباد الله نفاق واضح ، لا لبس فيه ، وحسب المرء ضعة وهواناً أن

(١) ١٧/ ٥/ ١٣٨١ هـ

يكون في عداد المنافقين ، يتخلق بأخلاقهم ، ويسير في ركابهم ، ويضار المؤمنين في مجتمعهم ، ويضرم نار العداوة بينهم ، إن ذا الوجهين ـ ياعباد الله ـ يجمع بمحاولاته بين مجموعة من المحرمات،يرتكبها عمداً ومع سبق الاصرار، تدفعه إلى ذلك نفسيته المريضة ، فتحمله على الكذب ، « وإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار » كما صح بذلك الحديث ، وتحمله على النميمة ، واليمين الفاجرة ، والهمز والغيبة .

وكل أولئك مجالب سخط الله عليه ، ووسائل هلكة ، تعرضه للوعيد الشديد : (ولاتطع كل حلاف مهين، هماز مشاء بنميم ، مناع للخير معتدأثيم) وتدفعه إلى الخيانة في نقل أحاديث المجالس، للتقرب بها إلى المنقول اليه، وخاصة إذا كان صاحب سلطة ونفوذ ، وفي تعاون على الإثم ، واستعداء على الشر (وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) وصح عن المصطفى ﷺ أنه قال : « لا يبلغني أحد عن أصحابي شيئاً فإني أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر » .

وفي سلوك هذا المسلك النبوي السديد قطع الطريق على ذي الوجهين ، والحد من إفساده ، وفيه راحة للقلب ، وارضاء للضمير ، قيل لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما : إنا ندخل على سلاطيننا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم ، قال : كنا نعد هذا نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ .

والسلطان كل صاحب سلطة اتسعت دائرتها كولي الأمر ، أو تحددت جوانبها كبقية الموظفين كل بحسبه ، ولعـــل أقوال السلف لم تكن غـير ثناء عاطر للوالي ، تشجيعاً له على المضي في الخير ، أو رغبة في ارضـائه ، بما لم يكن فيه معصية للباري ، فإن القرون المفضلة التي أدركها عبد الله بن عمر هي خـير القرون ، وهي جديرة باحسان الظن ،والارتفاع بأهلها عن المذمة ، لم يكونوا يقولون هجراً أو يدسون الدسائس لدى الولاة ، أو ينالون من أحد المسلمين ، أو يستعدون صاحب سلطـان على بريء فإنهم أعرف النـاس بأهداف قول الرسول الكريم ﷺ : « كل المسلم على المسلم حرام دمه ، وماله ، وعرضه».

أما الناس في أعقاب الزمن فإن في مجتمعاتهم من يدلل على إخلاصه لرئيسه ، وأصحاب السلطة في بلده بالقدح والطعن فيمن يكرهونه للهـوى ، أو لعدم الاستلطاف ، وقـد يوغل في الإثم فيصمه بالموبقـات ، ويهتك ستره ثم يمثل نفس الدور عند المبغضين الذين كان بالأمس يقدح فيهم ، فينال من رئيسه أو صاحب السلطان في بلده ، وهكذا يمثل دور ذي الوجهين في أقبح مثال، وأوضح مسلك ، ولن يستقيم على نهــج الهدى أو يصلح مجتمع تقوم فيه سوق لذي الوجهين ،

فاتقوا الله عباد الله وارتفعوا بأخلاقكم عن معائب ذي الوجهين ، وحذار من تصديقه ، والأخذ بما ينقله ، ففي ذلك فساد ذات البين ، وفساد ذات البين

كما قـــال رسول الهدى هي : « الحالقة ، لا أقول تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين » .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم ، إذ يبيتون ما لا يرضى من القول . وكان الله بما يعملون محيطاً) .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه . أقول قولي هذا ، واستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، انه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له،وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، الصادق الأمين ، ، اللهم صل وســـلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، في الحديث عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال :« من التمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه، وارضى عنه النـاس ، ومن التمس رضى النـاس بسخط الله سخط الله عليه ، واسخط عليه الناس » وإن ذا الوجهين ياعباد الله ممن يرضي الناس بسخط الله، وكل صنيعه مبني على مايغضب الله ، وعلى ارتكاب ماحرمه الله .

١٦ - في الحث على الصدق [1]

الحمد لله ، خلق السموات والأرض بالحق ،وجعل الظلمات والنور ،أحمده سبحانه يهدي إلى الرشد ، ويبغض أرباب الفجور ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، أرسله الله بالهدى ودين الحق ، فأخرج العباد من الظلمات إلى النور ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، لا يستوي الحق والباطل ، كما أنه لا يستوي الطيب والخبيث ، فالحق نور يهدي إلى السبيل السوي ويرسم طرق الفلاح ، والباطل ظلمة يتعثر فيها السالك ، ويضل عن سواءالسبيل ، وإنالحق الذي يجب الأخذ به قولاً وعملاً ، والسير على هديه ظاهراً وباطناً ، الصدق في كل اتجاه ، والعمل بـه في كل مسلك ، وشد رابطة الصادقين ، أخذاً بتوجيه الله لعباده المؤمنين ، وامتثالاً لأمره إذ يقول : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) والصدقفيالاقوالهو تقرير الواقعالصحيح،دون زيادةأو نقص،ودونتدليس أو تلبيس،والصدق في الأفعال: مطابقة مظهر العبد لمخبره،وتصديق فعله لقوله .

فالعلماء الذين ورثوا الأنبياء في رسالتهم ، وفي تبليـغ الدين الذي جعله الله أمانـة في أعناقهم ، يجب أو يـكونوا القدوة الصالحة في تحريهم للصدق ، في أقوالهم وأفعالهم ، وأن يعملوا بما يحملونه من العلم وينقلونه من الدين ، كما قال

---

(١) ٢٦ / ٤ / ١٣٨١ هـ .

تعالى : (ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب ، وبما كنتم تدرسون) أي كونوا علماء عاملين بما تعلمونه وتعلمونه وتدرسونه ، وتلك أبرز مظاهر الصدق في العالم .

والتاجر الذي يعرض السلعة ، يؤمل فيها الربح المبارك المشروع ، يجب عليه أن يتحرى الصدق في قوله وعمله ، فلا يروج سلعته بالكذب والأيمان الفاجرة ، ولا يكتم ما فيها من عيب وخلل ، تدليساً أو استغلالاً لغفلة المشتري ، أو لسلامة صدره ، أو لوثوقه بالتاجر ، فإن ذلك مما يمحق الله به الكسب ، ويذهب بركة الربح ، ويكون عليه التاجر مأزوراً ، جاء في الحديث : إن رجلاً على عهد رسول الله ﷺ ، أقام سلعة في السوق ، وحلف بالله : لقد أعطي بها ما لم يعط ، ليوقع فيها رجلاً من المسلمين ، فنزل قوله تعالى : (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً ، أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ، ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم) .

والمحترف بأية حرفة ، والصانع في أي مجال للصناعة ، يجب أن يتحرى الصدق في قوله وعمله ، فلا يزعم زعماً لا يصدقه الواقع ، كمن يزعم أنه ماهر في صنعته ، يضرب به المثل في نشاطه وحذقه وخبرته ، وواقعه لا يصدق ذلك ، بل يكشف عن مجرد دعوى ، وعن خلف للوعود المتكررة ، في إنجاز ما أخذ على عاتقه انجازه ، فهو مفتر في قوله ، كاذب في دعواه يشمله قول الرسول الكريم : « كبرت خيانة أن تحدث أخاك بحديث هو لك مصدق ، وأنت فيه كاذب » .

والموظف المؤتمن على مصالح الأمة مهما ارتفعت وظيفته ، واتسع نفوذه وتشعبت مسؤولياته يجب عليه أن يتحرى الصدق في قوله وعمله، ويتحرى الصدق فيما يرفعه إلى ولاة الأمر عن الرعية ، من تقارير واحكام ومعاملات ، فلا يقرر غير الواقع ، لايلبس أو يحابي أو يجامل أناساً على حساب الآخرين ، وإلا كان غاشاً للأمة مدلساً في مصالح الرعية ، تعظم مسؤوليته أمام الله ، ويؤاخذ على ظلمه للعباد وتقريره خلاف الواقع « ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» ويجب عليه أيضاً أن يتحرى الصدق فيما يتصل بأرباب المصالح ، فلا يعدهم وعوداً كاذبة تتكرر يوماً بعد يوم ، للوقوف على بابه إظهاراً للعظمة ، ولايموه عليهم الحقائق ، فيظهر لهم المساعدة وهو في الواقع يدس لهم الدسائس ، وإلا شمله الوعيد الوارد في حق من ولي أمراً من أمور المسلمين، فشق عليهم ، صح عن المصطفى ﷺ أنه قال : « اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه » .

وكذلك من يحترف الصحافة ، أو يتصدى لإشاعة الأخبار بأي وسيلة من الوسائل ، يجب عليه أن يتحرى الصدق فيما ينقله ويرويه ، فلا ينقل كذباً ، ولا يشيع باطلاً ، فإن الكذب حين يذاع ، والباطل حين ينتشر ، يعظم بين الناس خطره ، ويتفاقم ضرره ، لذلك يضاعف الله عقابه ، يقول رسول الله ﷺ في حديث الاسراء الطويل : «رأيت الليلة رجلين أتياني،وقالا:إن الذي رأته يشق

شدقه فكذاب ، يكذب الكذبة فتحمل عنه في الآفاق ، فيصنع به هكذا إلى يوم القيامة » .

والصدق في الأقوال والأفعال ـ يا عباد الله ـ بالاضافة إلى أنه أثر للصلاح وعامل على الفلاح ، فهو ضياء للساري في خضم هذه الحياة الصاخبة ، يهديه إلى التي هي أقوم ، حتى يكتب من الصديقين ، وفي زمرة البررة الصالحين ، وإلى جوار المقربين في جنان الخلد وجنات النعيم ، وعلى العكس منه الكذب كما جاء في الحديث : « عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق ، حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإياكم والكذب ، فان الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، ولا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب ، حتى يكتب عند الله كذاباً » .

فاتقوا الله عباد الله ، وخذوا بالصدق في كل مجال ، وعلى كل حال ، تستقم أموركم وتصلح أحوالكم ، وتبلغوا بذلك رضوان ربكم .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم) .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه ، أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، انه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمـــد لله يرفع درجات الصادقين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، الصادق الأمين ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله! صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: « يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب ». وسئل ﷺ : أيكون المؤمن جباناً؟ قال : « نعم » . قيل له : أيكون بخيلاً ؟ قال : « نعم » . قيل له : أيكون كذاباً ؟ قال : « لا » . وما ذاك إلا لأن الكذب خصلة ذم تلحق صاحبها بالمنافقين ، كما جاء بذلك الحديث ، ونفاق وإيمان لا يجتمعان في قلب مؤمن .

١٧ ــ في التنفير من علل الأخلاق

الحمد لله بعث رسوله المصطفى ليتمم الأخلاق، أحمده سبحانه وهو الواحد الرزاق ، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، وشفيع الموحدين يوم التلاق ، اللهم صل وســـلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد، فيا عباد الله ، أرأيتم العلل في الأجساد، كيف تتدهور بها الصحة وتنحل القوى ؟! إن لها نظائر على الأخلاق ، عللاً تتدهور بهـا ، وتهبط عن

المستوى الرفيع الذي يجب أن يرتفع إليه المسلم ، من أجل ذلك ، كان من أهداف الدعوة الاسلامية إصلاح الخلق إلى جانب إصلاح العقائد ، لتربط بين الخلق والدين ، فوجه الأمة الاسلامية رسول الهدى ﷺ إلى نبذ علل الأخلاق ، وأمر الأخذ بأحاسنها ، وقال في جملة توجيهاته الكريمة للأمة: « من أحبكم إلي ، وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً ، ومن أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون » . ثرثارون ومتشدقون ومتفيهقون .

ثلاثة ألوان في الناس ، هم عب ثقيل على المجتمع ، لما يعانيه منهم أفراده من اعتلال أخلاقهم، وفساد تصرفاتهم، وهم بلاء على أنفسهم ، إذ هبطوا عن درجة الكمال في الايمان ، كما هو مطلوب من كل مسلم أن يسعى إليه بصالح عمله وحسن خلقه ، كما قال رسول الهدى ﷺ : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً » .

أما الثرثارون فهم قوم يتجرون في الكلام ، ديدنهم رواية الأخبار ، ونقل الغث والصحيح ، والصدق والكذب ، ينتقل أحدهم من ندوة إلى أخرى ، ومن مقهى إلى ملهى ممتطياً مطية الكذب ، قالوا : وزعموا كذا ، وسمعنا في الاذاعة كذا !! دون تثبت في النقل ، أو وزن لما يحدث به ، وذلك من أوضح البراهين على اعتلال خلقه ، وضعف نفسيته . يقول رسول الله ﷺ منددا بهذا الخلق : « بئس مطية الرجل زعموا » . ويقول موضحاً جرم المتصف به

منفراً من سلوك مسلكه : « كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع » . يقول رب العزة موجهاً عباده للتثبت من سماع الأخبار وعدم الأخذ بكل ما يقال: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) أي تثبتوا من نقله وتأكدوا من صحة خبره .

وهذه التوجيهات الاسلامية ليست خاصة بالفرد ، بل هي عامة شاملة لكل مجال للنشر ، كالاذاعة والصحافة والتأليف ، يجب على المشتغلين بها أن يتثبتوا من كل ما يروونه وينقلونه ، أخذاً بهذه التوجيهات الكريمة ، وترفعاً عن الثرثارين أبغض الناس إلى رسول رب العالمين .

أما المتشدقون فهم الذين يتكلمون بملء أشداقهم ، سواء كان ذلك اعتداداً بفصاحتهم ، أو توسعاً في الكلام دون احتراز لما يحل منه وما يحرم ، وما يجمل التحدث به وما يقبح ، ويؤاخذ العبد عليه ، ويترتب عليه شقاؤه ، كما جاء في الحديث : « إن العبد ليتكلم الكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها سبعين خريفاً في النار » . وما أكثر المتشدقين في أعقاب الزمن الذين يتشدقون بدعاوى لا يصدقها واقع ، محاولين توجيه الأنظار إليهم ، ولو بالكذب والباطل .

ومن التشدق ، بل من أقبح ألوانه : التحدث بالمعصية بملء الأشداق ، وكأن التحدث عنها شيء مألوف لا إثم ولا جريمة ، أولئك - يا عباد الله - هم المجاهرون الذين عناهم رسول الهدى بقوله : « كل أمتي معافى إلا المجاهرين »

أي لا يكونون في عافية من عذاب الله ومنجاة من سخطه ، وقد أوضح رسول الله ﷺ واقعهم بقوله : « وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل عملاً بالليل ، وقد ستره الله عليه ، فيقول : يا فلان ، عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ، وأصبح يكشف ستر الله عليه » .

أما المتفيهقون فقد وصفهم رسول الهدى ببعض صفاتهم ، حين سئل عنهم : « هم المتكبرون » إذ من أبرز صفات المتكبر التعاظم في كلامه ، والارتفاع على الناس في حديثه ، وإذا كان مثقفاً فإنه يحاول التحدث بالغريب من الكلام ، إظهاراً لفضله ، كما يخيل له ، وازدراء لغيره ، وتلك علة خلقية تشعر بضعف نفسية المتفيهق ، ولذلك يكون بعيداً في الدنيا عن قلوب الناس ، معزولا عن خيارهم ، مقروناً في الآخرة بمن أبغضهم رسول الهدى وأبعد عنه مجالسهم .

وعلاج هذه العلل الخلقية ميسور ، لو رغب المريض في تهذيب خلقه ، فقد أوضحه طبيب الانسانية ﷺ في جملة توجيهات عامة ، توحي بحفظ اللسان عن الشطحات ، ويقسر النفس وأخذها بالتواضع وحسن الخلق ، من ذلك قوله ﷺ ، وقد سأله أصحابه قائلاً : ما النجاة ؟ قال : « امسك عليك لسانك » . وقال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » وقال ـ يحفز الهمم للأخذ بالتواضع والتنفير من الكبر قولا وعملا ـ : « أوحى الله إلي أن تواضعوا ، حتى لا يبغي أحد على أحد ، ولا يفخر أحد على أحد » .

وقال مرغباً في حسن الخلق ، وكريم الطباع : « إن المسلم المسدد ليدرك درجة الصوام القوام بحسن خلقه وكرم طبعه » . وقال : « خياركم أحاسنكم أخلاقاً» وقال بعض السلف تفسيراً لحسن الخلق : هو طلاقة الوجه ، وبذل المعروف وكف الأذى . فبالأخذ بهذه الوصايا والتوجيهات الكريمة يبرأ الخلق المريض ويستقيم منه العوج .

فاتقوا الله عباد الله ، واستقيموا على نهج الهدى، فمدار السعادة في الدارين دين قويم ، وخلق متين .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ، ولا فساداً ، والعاقبة للمتقين) .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، ولسائر المسلمين من كل ذنب . فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية (١)

الحمـــد لله وفق من شاء من عباده إلى الهدى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، خير من دعى إلى الاستقامة والهدى ، ونبذ الهوى ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

(١) في ١ / ٨ / ١٣٨٦ هـ .

أما بعد ، فيا عباد الله ، عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « يا أبا ذر ! ألا أدلك على خصلتين هما أخف على الظهر وأثقل في الميزان ؟ ! قال : بلى ! قال : « طول الصمت وحسن الخلق ، والذي نفسي بيده ، ماعمل الخلائق بمثلهما » . فخذوا ـ يا عباد الله ـ بوصية رسول الله ﷺ تثقل موازينكم .

١٨ ـــ في التحذير من المجاهرة بالمعصية[١]

الحمد لله الحليم التواب ، أحمده سبحانه ، يقبل التوبة من كل عبد أواب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، أفضل رسول أنزل الله عليه خير كتاب، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد، فيا عباد الله ، المجاهرة بالمعصية ، والاستهتار بعقوبة الزلة ، إثم عظيم وحوب كبير ، يترفع عنها المؤمنون ، ويقدم عليها كل من ضل عن سواء السبيل ، ولقد ذم الله الأمم في العصور الخوالي ، ممن جاهر الله بالعصيان، وأمن مكر الملك الديان ، فأخذهم بالعذاب على غرة ، وهم في غيهم يعمهون ، ثم وجه أنظار عباده إلى مصيرهم ليحذروا مجالب سخط الله ، ولئلا يصيبهم ما

(١) : ٢/٦/ ١٣٨١ هـ .

أصاب الأمم قبلهم ، فقال : (أفأمن أهـــل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون ؟ أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسناضحى وهم يلعبون ؟ ، أفأمنوا مكر الله ؟ فـلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) قال بعض مفسري السلف : بغت القوم أمر الله ، وما أخذ الله قوماً قط إلا عندسلوتهم ونعمتهم وغرتهم، فلا تغتروا بالله . وفي الحديث : « إذا رأيت الله يعطي العبـــد من الدنيا على معصيته ما يحب فإنما هو استدراج »، قال تعالى :(فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء ، حتى إذا فرحوا بمـــا أوتوا أخـذناهم بغتة ، فإذا هم مبلسون) .

والمعصية ـ ياعبـاد الله ـ قبيحة في وضعها ومظهرها ، قبيحة بالنسبة لمـولي النعم الكريم ، لأنها خروج على أمره ، وجحود لفضله ، وسابغ نعمه ، وأقبح منها المجاهرة بها ، وإعلانها ، والاستهتار بعقوبتها فهو طغيـان ليس وراءه من طغيان ، ولذلك عظم الله الجزاء لعظم الذنب ، وتوعد المجاهر بالعصيان ، مـع الإصرار عليه ، بالحرمان من المغفرة ، وبضرورة المؤاخذة بجريرة المجاهرة كما جاء في الحـديث : « كل أمتي معافى إلا المجاهرين » . أي لايكون المجاهرون في عافية من عـذاب الله ونقمته ، جزاء جرأتهم عليـه ، ومجاهرتهم بمعصيته ، وشقهم الطريق لغيرهم في الانحراف إلى مسلك الرذيلة ، فكانوا بذلك قـدوة سيئة ، عليهم وزر من أضلوه وانحـرفوا به ، إلى جانب أوزارهم كما جـاء في

الحديث : « من دعا إلى ضلالة ، كان عليه من الآثام مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيء » .

ولقد صور رسول الهدى لوناً من ألوان المجاهرة على سبيل المثال ، فقال : « ومن المجاهرة أن يعمل الرجل عملاً بالليل، ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول: يافلان عملت البارحة كذا وكذا ! ! وقد بات يستره ربه ، فأصبح يكشف ستر ربه عليه » أفلا يكون ذلك ـ ياعباد الله ـ طغياناً ما بعده من طغيان ، وتمهيداً لمسلك الرذيلة ، والسقوط في حبائل الشيطان ؟ .

أما الأقيسة والأمثلة على المجاهرة بالمعصية ، فإنها في دنيا الناس ، تتجاوز حد الحصر ، وتطغى على كل حساب ، فأكل الربا ، الذي توعد الله متعاطيه باعلان الحرب عليه ، تتعامل به البنوك ، ويحتال البعض على أكله بطرق ملتوية ، جهاراً واستهتاراً ، وبيع الذمم بالرشوة تبارى البعض من الناس فيه ، لإزالة معالم الحق ، ورفع رايات الباطل ، والتمهيد للرذيلة في أقبح صورة ، يعمدون اليه دون الخشية من عذاب ولا عقاب ، وتحلل النساء من الحشمة ، وإعلانهن التبرج المحرم ، إغراء بالفتنة ، وسيراً في ركاب الشيطان ، وغير ذلك مما لا تستوعبه الأمثلة هو مجاهرة لله بالعصيان ، واستهتار بعقوبة الملك الديان .

وكان من آثاره السيئة في المجتمع احتباس الغيث من السماء، واشتداد البلاء،

وتنوع المحن والأرزاء ، فما نزل بلاء إلا بذنب ، ولا سلبت نعمة إلا بمقارفة معصية ، كما قال تعالى : (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) . وفي الحديث : « ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوها ، إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا » . ومصداق ذلك ما نرى من أمراض مستعصية لم يكن لها في الماضين ذكر ، ولم يكشف عنها خبر ، قيل لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : حدثينا عن الزلزلة فقالت : «إذا استباحوا الزنا ، وشربوا الخمور ، وضربوا بالمعازف غار الله عز وجل في سمائه ، فقال للأرض : تزلزلي بهم ، فإن تابوا وإلا هدمها عليهم » .

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ واعملوا جاهدين بطاعة الله ، وحذار من المجاهرة بالمعصية ، والاستهتار بعقوبة الزلة ، فإن في ذلك الهلكة ، وإن زلت بكم القدم ، فبادروا بالتوبة الصادقة ، قبل فوات الأوان ، فكل بني آدم خطاء ، وخير الخاطئين التوابون ، وأصلحوا فساد قلوبكم ، واسلكوا نهج السداد في أعمالكم ومعاملاتكم ، يصلح الله أحوالكم ويبدلكم من الشدة رخاء ، ومن البلاء نعماء .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح ، فإن الله يتوب عليه ، إن الله غفور رحيم) .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه . أقول قولي هذا ، واستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله الكريم المنان . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، أكرم الرسل ، وسيد الخلق من إنس وجان، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ! صح عن رسول الله ﷺ انه قال : « سيحضر الجمعة ـ أي للصلاة ـ ثلاثة نفر : رجل حضرها يلغو ـ أي يتكلم ـ والإمام يخطب، فذلك حظه منها أي حظه من جمعته اللغو وليس له من الأجر شيء . ورجل حضرها بدعاء ـ فهو رجل دعا الله ان شاء أعطاه وإن شاء منعه . ورجل حضرها بإنصات وسكوت ، لم يتخط رقبة مسلم ، ولم يؤذ أحداً فهي كفارة إلى الجمعة التي تليها ، وزيادة ثلاثة أيام » . وصح عنه ﷺ انه قال : « من قال لصاحبه يوم الجمعة : انصت ـ أي والامام يخطب ـ فقد لغى ، ومَن لغى فليس له من جمعته تلك شيء » . ألا فليحذر اللاغون في الجمعة الحرمان من الأجر بلغوهم ، وتفويتهم على الناس فرصة الاستماع للوعظ . وإنما هي دقائق معدودة ، لو أنصت فيها العبد لكسب بها الربح والمغنم بتكفير ذنوبه لعشرة أيام ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

١٩ ـ في الحث على إفشاء السلام وبيان أهدافه(١)

الحمد لله يربي العباد بالتشريع كما يربيهم بالنعم ، أحمده سبحانه ، يقبل التوبة عن عباده ويزيل عنهم النقم ، وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد ان سيدنا محمداً عبده ورسوله ، سيد الثقلين ، وأفضل الخلق من عرب ومن عجم ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، إن مما شرعه الله لعباده ، مما يغرس بينهم المحبة ، ويديم الألفة : إفساء السلام بينهم ، ورد التحية بأحسن منها ، مقابلة للاحسان بأفضل منه ، ورعاية للجميل بما هو أكثر عائدة للبادىء بالجميل ، قال تعالى : (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها ، أو ردوها) أي ردوا التحية بمثلها أو بأفضل منها .

والسلام في واقعه أمان من المسلم ، ودعاء بالرحمة لمن سلم عليه ، ولذلك كان إفشاء السلام مشروعاً بين الصغير والكبير ، والأمير والصعلوك ، والملك والسوقة ، طلباً لإشاعة الأمان بين أفراد المجموعة الإسلامية ؛ إلى جانب غرس المحبة بينهم ، لا يترفع عنه عظيم لعظمه ، ولا يختلف عن بذله صغير

---

(١) في : ١٢ / ٤ / ١٣٨١ هـ .

لصغره ، أو صعلوك لتفاهة شأنه ، الكل مطالب ببذله وإفشائه ، وإذا كان إفشاء السلام عاملاً على إشاعة الأمن ، وغرس المحبة ، فيجب أن يكون صادراً من أعماق النفوس ، لا يكون قاصراً على طرف اللسان ، لايحدث محبة ، ولايشيع أماناً ، بل يكون نفاقاً ، يخدع به المسلم أخاه ، لأنه يسلم عليه في الظاهر وهو بعيد عنه كل البعد في الباطن ، بعيد عنه بنفسه وقلبه ، وخيره وعونه ، بعيد عنه بآماله وآمانيه وعواطفه ، وعن محبة الخير له كما يحبه لنفسه ، يخدع المرء أخاه عندما يشد على يده في حرارة عند السلام ، فيطمئن لإخائه ، ويركن اليه ، ويطمع في خيره وبره ، وفي وقوفه إلى جانبه ، وشد أزره ، ولكن عندما تتكشف الحقيقة وينجلي الزيف ، يتضح أن اليد التي كان يمدها للسلام ، وإشاعة الأمان ، والوجه الذي يهش ويبش به ، ما هو إلا تصنع وخداع ، وسخرية ونفاق .

والأدلة على ذلك ماثلة للعيان ، لا تحتاج إلى شرح وبيان ، ومن أمثلتها الأنانية المفرطة ، التي تدفع المرء لأن يعيش في هذه الحياة لنفسه ، لا يشعر بشعور إخوانه ، فلو كان إلى جواره من أضناه المرض ، أو أدقعه الفقر ، أو أثقله الدين ، أو أجهده العيال ، أو نزلت به النوازل ، أو اعتدى عليه ، أو استبيح حقه ، لما مد له يداً بالعون ، أو فتح له قلباً بالرحمة ، أو سكب له عيناً بالدمع، يأسو بذلك جراحه ، ويخفف آلامه ، كأخ في الله من حقه على إخوانه

أن يكونوا معه يداً واحـــدة في السراء والضراء ، كما أشار إلى ذلك رسول الهدى ﷺ بقوله : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

ولم يقف الأمر عند حد القسوة والأنانية المتطرفة ، لدى البعض من الناس بل قد يتجاوزه إلى ما هـــو أعظم خطراً ، وأشد ضرراً ، يتجاوز إلى الشماتة واللوم ، والتقريع والنقد اللاذع ، بل الإيذاء ، وتـــدبير المكائد ، وإيغار الصدور ، بالوشاية والدس ، والوقيعة والطعن من الخلف ، فأي أثر بعد هذا للسلام ؟ وأي قيمة ليد تمتد أو وجه طلق ، يخدع الرائي بإشاعة الأمان ؟ .

إن السلام ـ ياعباد الله ـ قول يجب أن يؤيد بكريم الفعال ، ليكون عاملاً على توثيق روابط المحبة ، وإشاعة الأمان ، وإن تحية الإسلام وردها بمثلها ، أو بأحسن منها لمما يدعم الإخاء الصادق في الإسلام ، ذلك الإخاء الذي أرسى قواعد سيد الأنام بكريم توجيهاته ـ حيث يقول : « المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً » ـ « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » ونصره ظالماً إرجاعه عن ظلمه . « لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » إلى غير ذلك من الأسس التي تشد من رابطة الإسلام ، فمن أخذ بها فقد حقق أهداف الإسلام ، وصدق القول بالفعل في إشاعة الأمان بإفشاء السلام ، فاتقوا الله ياعباد الله ، واعملوا بهدي الاسلام في إفشاء السلام ، والعمل بما يهدف إليه من

غرس المحبة وإشاعة الأمان ، وفعل الخير والكف عن العدوان ، يصلح مجتمعكم ، وتدخلوا الجنة بسلام . وفي الحديث عن سيد الأنام : « ياأيها الناس افشوا السلام ، واطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : (فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة ، كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه . أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، انه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله شرع للأمة أفضل شرائع الإسلام ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، خير مرشد وإمام ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، صح عن رسول الله ﷺ ، فيما يضمن التكافل بين الأخوة في الإسلام أنه قال عن البراء بن عازب رضي الله عنه ، قال : « أمرنا رسول الله ﷺ بسبع : بعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، وتشميت العاطس ، وإبرار المقسم ، ونصر المظلوم ، وإجابة الداعي ، وإفشاء السلام » . وإنها ياعباد

الله أهداف رفيعة ، لإصلاح المجتمع ، وتضامن الجماعة في السراء والضراء ، فأحيوا - ياعباد الله - ماأماتته الأنانية من أهداف الإسلام ، لتحظوا بالأجر العظيم في إحياء سنة خير الأنام .

٢٠ - في الحث على الدعاء [١]

الحمد لله الواحد الديان،أحمده سبحانه :(يسأله من في السموات والأرض، كل يوم هو في شأن) ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، أرشد الأمة لطب الأرواح ، كما أرشدها لطب الأبدان ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، إن سلاح المقاومة لصد مكائد العدو ، كما يكون حسياً يمثله العتاد الحربي بكل ألوانه ، يكون روحياً تمثله الأدعية والتعاويذ المشروعة ، ذلك لأن العدو لم يكن جيوشاً في الميدان فحسب ، ولكنه يتشكل في ألوان شتى بحيث تستدعي مقاومته والتغلب عليه إلى سلاح روحي ، ولذلك ورد في الحديث : « من قرأ حين يأوي إلى فراشه : آية الكرسي، (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) إلى نهايتها ، لايزال عليه من الله حافظ » أي من كل ذي شر « ولا يقربه شيطان حتى يصبح ، ومن تعوذ بالمعوذتين -

---

(١) في ١٥/ /١٣٨٢ هـ .

و (قل هو الله أحد) حين يصبح وحين يمسي كفتاه » أي من كل شر وشيطان.
وورد : إن الدعاء من أقوى الأسباب لدفع المكروه ، وإنه يدفع البلاء ، ويمنع نزول البأساء ، كما جاء في الحديث : « إن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء، فيعتلجان إلى يوم القيامة » . وجاء أيضاً : « إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل » .

فعليكم عباد الله بالدعاء ، وورد في الاكثار منه والإلحاح فيه رجاء تحقيق الآمال ، والظفر بالمطالب مايحفز الهمم للاشتغال به دون كلل أو ملل ، من ذلك قوله ﷺ : « إن الله يحب الملحين في الدعاء » وقوله : « لاتعجزوا في الدعاء » أي لاتفتروا « فانه لايهلك بالدعاء أحد » وذلك أوضح برهان على دحض فرية الماديين المتحللين ، الذين يزعمون أن الدعاء سلاح العاجزين ، وما هو والله إلا نهج المرسلين وطريق المؤمنين ، حين يضرعون إلى ربهم راغبين راهبين ، كما قال تعالى في وصف بعض النبيين :(إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ، ويدعوننا رغباً ورهباً ، وكانوا لنا خاشعين) .

غير أن لاستجابة الدعاء موانع ، يجب أن يحترز منها الداعي ، لئلا تحول بينه وبين ما يريد تحقيقه من آمال ، من ذلك : أن يكون كسب المرء حراماً ، في أي وضع يتمثل فيه الكسب الحرام ، رشوة كان أو ربا أو استغلالاً محرماً أو احتيالاً لأكل أموال الناس بالباطل ، يفصح عن ذلك قول الرسول ﷺ

في حديث طويل يقول أبو هريرة راوي الحديث: ثم ذكر أي رسول الله ﷺ « أن الرجل يطيل السفر ، أشعث أغبر ، يمد يديه الى السماء : يارب ، يارب !! ومطعمه حرام ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذي بالحرام ، فأنى يستجاب له » ـ أي من أين تأتي الإجابة لمن هذا حاله .

وما الكسب الحرام ـ ياعباد الله إلا مثلاً للانزلاق في مهاوي الخطيئة ، والوقوع في المعصية ، في أي لون من ألوانها ، مع التمادي فيها ، فإن انتهاك محارم الله ، والجرأة عليه بارتكاب الكبائر ، ليس بأقل ضرراً ولا أعظم خطراً من أكل الحرام ، فالمعاصي من أقوى الموانع لاستجابة الدعاء كما جاء في الحديث : « لتأمرون بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب ، ثم يدعو الله خياركم فلا يستجاب لهم » .

لذا كان من شروط قبول الدعاء : الكف عن انتهاك محارم الله ، وعدم الغفلة عن الله ، ثم الرجوع الى الله بالتوبة الصادقة ، ليقطع بها الداعي الصلة بماضي الآثام ، ويستصلح النفس في مستقبل الأيام ، وعندئذ وبعد أن ينصقل جوهر النفس ، وتصبح كالتربة الصالحة تقبل البذر وتنتج الثمار ، تقبل فيض النفحات والرحمات ، وتستجاب منها الدعوات ، ويصح أن تكون في زمرة من عناهم رسول الله ﷺ بقوله : « ادعو الله وأنتم موقنون بالاجابة » .

وذلك لزوال المانع ، وقد لايشعر الداعي باستجابة دعائه ، إذ لم ير أثراً لذلك لأن الله سبحانه من رحمته بعبادة جعل الإجابة تتفق مع مصلحة الداعي ، كما جاء في الحديث : « ما من مسلم يدعو بدعوة ، ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم الا أعطاه الله بها احدى ثلاث : اما أن يعجل له دعوته ، وإما أن يدخرها له في الآخرة،وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها»قالوا ـ أي الصحابة رضوان الله عليهم : إذن نكثر ـ أي من الدعاء . قال رسول الله ﷺ : « الله أكثر» أي أكثر استجابة لمن دعاه .

فاتقوا الله عباد الله ، ولاتغلبنكم على الدعاء الغفلة ، أو يقعدنكم عنه شبه المنحرفين ، وضلال المضلين ، فإن للدعاء أثره الفعـــال ، في تحقيق الرغائب وبلوغ الآمال ، وحسبكم أنه مخ العبادة ، تفتح به أبواب الرحمة ، إذا توجه به العبد الى الله راغباً راهباً نال رضاه ، وبلغ به العبد مايتمناه .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ، ان الذين يستكبرون عن عبادتي) أي عن دعائي (سيدخلون جهنم داخرين) .

نفعني الله واياكم بهدي كتابه . أقول قولي هذا ، واستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية (١)

الحمد لله يقبل التوبة عن عباده ، ويعفو عن السيئات ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، جاهد في الله حق جهاده ، وتضرع إلى الله في كشف الملمات ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، جاء في بعض الآثار : «إن بلاء نزل ببني إسرائيل ، فخرجوا إلى الله يستصرخون به في رفع البلاء ، فأوحى الله إلى نبيهم أن أخبرهم : إنكم تخرجون إلى الصعيد - أي إلى الأرض الفضاء - بأبدان نجسة ، أي تلوثت بالمعاصي - وترفعون إلي اكفاً سفكتم بها الدماء ، وملأتم بها بيوتكم من الحرام ، الآن حين اشتد غضبي عليكم ؟ ولن تزدادوا مني إلا بعداً ».وذلك ما يوحي بأن المعاصي في كل ألوانها عائق يمنع استجابة الدعاء ، ومانع من دفع البلاد ، فاحذروا عباد الله المعاصي ، فهي قاصمة الظهر ، يشتد بها العناء .

---

(١) في ١٠ /٧/ ١٣٨٢ .

٢١ — في الحث على أداء الشهادات وعدم كتمانها [١]

الحمد لله عالم الغيب والشهادة، أحمده سبحانه وعد المحسنين بالحسنى وزيادة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وضع أسس العدل، وحذر من كتم الشهادة، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد، فيا عباد الله! العدل في الأقوال واجب مفروض، يتعين القيام به بالنسبة للقريب والبعيد، والصديق والعدو على حد سواء، ويشمل العدل في الأقوال أداء الشهادات على وجهها، وعدم كتمانها، وتقرير الحقيقة بها، قياماً بواجب العدل، وترفعاً عن الظلم والجور: (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط) أي العدل (شهداء لله، ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين) أي اشهدوا بالحق على أنفسكم أو على الوالدين والأقربين، ولا تحملنكم العواطف على كتمان الشهادة أو تحريفها. قال تعالى: (وأقيموا الشهادة لله) أي أدوا الشهادة ابتغاء وجه الله، صحيحة عادلة، ولا تكتموها متأثرين بالقرابات والصداقات، أو المجاملات والعداوات والخصومات، فأداء الشهادة على وجهها عدل يحبه الله للعباد، والتحريف فيها أو كتمانها جور يبغضه

(١) في ١٣٧٩/٨/٢٢ هـ .

الله ، وإثم يؤاخذ عليه ، كما قال تعالى : (ولا تكتموا الشهادة ، ومن يكتمها فإنه آثم قلبه) أي : لا تكتموا شهادة تقررون بها واقعاً صحيحاً ، إظهاراً للحق ، ودفعاً للباطل ، ومن يكتم الشهادة فانه آثم قلبه .

قال العلماء : أراد مسخ القلب ، ولم يتوعد الله على شيء توعده على كتمان الشهادة ، أي فاجر قلبه ، وعلى صلاح القلب وفساده يتوقف صلاح الجوارح، فاذا صلح صلحت الجوارح لصلاحه ، أما القلب الفاجر الممسوخ ، فلا يوحي إلا بالشر ، ولا يهدي إلا إلى الضلال ، كما جاء في الحديث : « إن في الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب » .

وقد قرن ابن عباس رضي الله عنه كتمان الشهادة بشهادة الزور في الإثم ، حيث يقول : شهادة الزور من أكبر الكبائر ، وكتمان الشهادة كذلك ، وما ذاك إلا لأن الأثر الذي تتركه شهادة الزور من إبطال الحق ، وإقرار الباطل ، وإشاعة الظلم والفساد ، وضياع الحقوق ، والتجني على عباد الله ، هو نفس الأثر الذي يتركه كتمان الشهادة ، فيسود الظلم ، وترتفع أعلام الجور ، وتضيع الحقوق على أصحابها ، وتلتبس الأمور ، فالحقوق في مختلف مطالبها ، والجنايات على تشكل الاجرام فيها ، والحدود لاستيفائها ، كل ذلك لا يثبت إلا بالشهادة العادلة .

فاذا أعرض الناس عن أداء الشهادة وكتموها ، تأثراً بقرابة قريب ، أو صداقة صديق ، أو محاباة لرئيس ، أو مجاملة لوجيه ، أو للاضرار بصاحب الحق ، أو للنكاية بالخصم ، أو لما يلحقهم من الضرر ، أو المشقة من أداء الشهادة وانتظار دور الشاهد أمام المحاكم ، أو لأي سبب من الأسباب والدوافع ، إذا كتموا الشهادة وأعرضوا عن أدائها، فقد جانبوا العدل المأمور به ، والواجب المفروض في أداء الشهادات على وجهها ، وارتكبوا الاثم الكبير ، ولحقهم الوعيد في حق كاتم الشهادة : (ومن يكتمها فانه آثم قلبه) ، وجنوا على أنفسهم بضياع الحقوق بينهم ، وعلى مجتمعهم باشاعة الظلم والفساد ، وايجاد الضغائن بين أفراده ، وليس ذلك بالمسلك السديد .

فاتقوا الله يا عباد الله ، وأطيعوا الله فيما أمر به من أداء الشهادات على وجهها ، وعدم إقرار الظلم والباطل ، وإشاعة الفساد بكتمانها ، فأداء الشهادة عدل أمر الله باقامته ، والعدل قامت به السموات والأرض ، وكتمان الشهادة ظلم ، والظلم حرمه الله على عباده .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ، ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً) .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه . أقول قولي هـذا ، واستغفر الله العظيم لي ولكم ؛ ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله الولي الحميد ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، روي في بعض الآثار ، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال : « من كتم شهادة إذا دعي إليها كان كمن شهد بالزور » . وفي ذلك تنفير عن كتم الشهادة ، وحفز للمسارعة إلى أدائها ، إقراراً للعدل ، وحفظاً للحق ، ودفعاً للباطل .

٢٢ ـ في الحث على استعمال العقل والتحذير من المدنية الغربية[١]

الحمد لله ينير بصائر المهتدين بهداه ، أحمده سبحانه ، ونسأله أن نكون جميعاً ممن تولاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، خير من والى في الله ، وعادى من عاداه الله ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

---

(١) في ١٣٨٢/٧/٣٠ هـ .

أما بعد ، فيا عباد الله ، العقل موهبة ، من أعظم المواهب ، فهو مصدر الاشعاع ، وأداة التفكير ، وكثيراً ما أشار القرآن اليه ، ورفع من شأن من ينتفع به ، كما قال تعالى : (إنما يتذكر أولوا الألباب) ، (كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون) ، (إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) . وندد بمن عطله ولم ينتفع به ، كما قال تعالى فيمن جانب الهدى وقلد التقليد الأعمى : (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا : بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ؟) .

ولذا كان من الرشد وزن الأمور بميزان العقل ، في كل ماله مجال فيه ، لتقرير الأصلح ، والأخذ بالأنفع ، واجتناب ما سواه ، إما لما يجلبه من الخطر والضرر ، أو لتفاهته وضياع الوقت الثمين فيه دون جدوى .

وان مما يتخايل أمام الأعين ، وتصطدم به المجتمعات الاسلامية في أعقاب الزمن : المدنية الغربية الزائفة التي لفظتها شواطىء أوربا على بلاد الشرق ، وانفصلت عن مجتمعات لا دينية ملحدة ، تعبد المادة ، ولا تؤمن بما وراء المحسوس ، وتطلب تحقيق اللذة الطائشة ، تجري وراء الشهوة ، دون حدود وقيود ، يصور واقع أهلها ما حكى الله عن سلفهم إذ يقول : (وقالوا : إن هي إلا حياتنا الدنيا ، نموت ونحيا ، وما يهلكنا إلا الدهر) . دهرية تتنافى مع المبدأ الاسلامي ، في العقيدة والمسلك وصحة الغرض .

أما العقيدة فإن قوامها الاعتراف بإله مبدع للكون ، بيده تصريف الأمور ، يجب إفراده بالتقديس والتأليه ، والأخذ بشرعه ، وان لا يتخذ الناس بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله ، وهو عكس ما تدعو اليه المدنية الغربية ، من تقديس المادة وعبادتها ، والتنكر لكل القيم الروحية ، واستعباد القوي للضعيف .

وأما منافاتها للمسلك الاسلامي ، فإن الاسلام قد وازن بين الروح والجسد ، فلم يجعل لسلطان الروح الغلبة على الجسد ، لئلا يندفع المسلم إلى الرهبنة ، وحياة التقشف ، وقد رد الله على من ابتدع ذلك في الأمم السابقة بقوله : (ورهبانية ابتدعوها ، ما كتبناها عليهم) . وقال رسول الله ﷺ « لا رهبانية في الإسلام » . وقال : « إن لأنفسكم عليكم حقاً ، فصوموا وافطروا وقوموا وناموا ، فإني أقوم وأنام ، وأصوم وأفطر ، وآكل اللحم ، وآتي النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » . وقال تعالى : (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده ، والطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) .

كما أن الاسلام لم يجعل الغلبة للجسم على الروح ، فتطغى المادة على النفوس ، كما هو ملحوظ وملموس في الأوساط الغربية ، ويغدو المسلم لا هم له إلا تحقيق اللذة في مختلف أوضاعها وألوانها ، لعب ولهو وغرور بالحياة ، وفسق

وفجور وانتهاك لمحارم الله ، وإفلاس من الفضائل والمحامد والأمجاد ، ولن يستقيم على ذلك إسلام ـ ياعباد الله ـ .

أما المنافاة في صحة الغرض ، فإن مجموعة الأحكام والأوامر والنواهي ، والآداب التي شرعها الإسلام وألزم بها المسلمين وحـــدة لاتتجزأ ، ولا يصح الإيمان ببعضها ، والكفر بالبعض الآخر ، إنما شرعت لغرض صحيح هو تكوين أمة قوية في دينها ، متينة في أخلاقها ، عريقة في أمجادها ، رحيمة في مبادئها ، تنشر العدل وتكون لها الخلافة في الأرض ، على عكس ما تنشأ عليه المبادىء المادية من الاستبداد ، والفساد الشامل ،وفرض نظام الطبقات ،ليتعالى القوي على الضعيف ، ويستلب حقه ويستذله .

وكانت الأمة الإسلامية هي الأمة التي اختارها الله لتحمل العبء ، وتسير بالدين والدنيا معاً ، وأثنى عليها إذ قامت بدورها في الحياة كما يريد، فقال:(كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله) . وقال في وصفها بمتانة دينها وسمو أخلاقها ورفيع مبادئها :(محمد رسول الله ، والذين معه ، أشداء على الكفار ، رحماء بينهم ، تراهم ركعاً سجداً ، يبتغون فضلاً من الله ورضواناً) .

وسجل لها التاريخ من الأمجاد فتح البلدان ، ونشر راية الاسلام ، وإشاعة العدل والأمان، وصيانة المحارم، والحكم بما أنزل الله ، حتى تهاوت تحت أقدامها

دولة الفرس والروم ، ووقع مصداق ما أخبر به رسول الهدى ﷺ بقوله : « والله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من الحيرة على بعيرها ، حتى تزور هذا البيت ، حاجة أو معتمرة » ، أي في أمن شامل لا تخشى إلا الله ، فأنشأوا حضارة إسلامية أين منها حضارة الغرب المزيفة اللادينية الملحدة ؟ ! كل ذلك بيمن الاسلام والأخذ به ديناً ودنيا ، وعدم الخروج على تعاليمه ، واتهامه بالرجعية، وهو الدين الصالح لكل زمان ومكان ، لن يقف حجر عثرة أمام مطالب الاصلاح المشروعة .

فأي المسلكين ـ ياعباد الله ـ أهدى سبيلاً ، مسلك المدنية الغربية الزائفة، والانطلاقة الجامحة دون حدود وقيود؟! أم مسلك الإسلام دين السلام والرحمة، والمساواة والعزة ، ودين الإيمان واليقين ؟ ! الحكم في ذلك للعقل الحصيف ، لو حكم ولم يعطل ، وكانت السيطرة له على العواطف والميول والنزعات ،فالرشيد المسدد ـ ياعباد الله ـ من انتفع بعقله ، وخالف هواه ، وجانب التقليد الأعمى، وأقام نهج حياته على التماس الهدى .

فاتقوا الله يا عباد الله ، فخير عباد الله من إذا استمع القول أو اختلطت عليه الأمور أخذ بأحسنها مما يتسم بنور الهدى .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك، ولا تبغ الفساد في الأرض، إن الله لا يحب المفسدين) .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية [1]

الحمد لله فالق الحب والنوى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله نبي الرحمة ، والداعي إلى سبل الهدى ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، روي أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال مخاطباً أبا عبيدة ، وقد نقد عمر في خشونة عمد إليها : «انكم كنتم أذل الناس ، وأحقر الناس ، وأقل الناس ، فأعزكم الله بالإسلام ، فمهما تطلبون العز بغيره يذلكم الله ». رضي الله عن أمير المؤمنين ، لقد كان ينظر بنور الله ، ترى لو شاهد الناس في أعقاب الزمن وسيرهم الحثيث في تقليد الغرب بكل آثامه وشروره ، ورؤيتهم العز والتقدم في ذلك ، ماذا يكون موقفه منهم ؟! اللهم خذ بنواصينا إلى الحق ، وجنبنا الزلل .

---

(١) : في ٣٠/٧/١٣٨٢ هـ .

٢٣ ـــ في الحث على الحب في الله والبغض في الله (١)

الحمد لله ، يحب المتقين ، ويرفع درجات المحسنين ، أحمده سبحانه جعل الحب فيه آية لصدق إيمان المؤمنين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبـده ورسوله ، وهو القائل : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين » . اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعـد ، فيا عباد الله ، الأثر الذي يجب أن يكون واضحاً في أخوة الاسلام ، والطابع الذي يجب أن يتسم به المسلمون جميعاً على اختلاف ألوانهم وجنسياتهم في كل زمان ومكان ، ويجب أن يكون أساساً لترابطهم وقيـــام وحدتهم ، هو الحب في الله ، والبغض في الله ، كما وجه إلى ذلك رسول الهدى ﷺ ، وأوضح ثماره ، إذ يقول : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ؛ أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وان يحب المرء لايحبه إلا لله ، وان يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه ، كما يكره أن يلقى النار » .

حلاوة الايمان ما يحصل للمسلم من لذة القلب ونعيمه ، ومتعته وسروره ، وما ينشأ عن ذلك من الثمار الطيبة كالاقبال على الطاعة ، وتحمل المتاعب في سبيل

---

(١) في ٨ / ٨ / ١٣٨٢ هـ

أداثها ، والكف عن المعصية ، والصبر على مرارة فطم النفس عنها ، فهوى المحب تبعاً لمحبوبه ، رضاً وسخطاً ، وإن من أوضح البراهين على الحب الصادق في الله أن تفصح عنه ميول المسلم ومنازعه ، وتصوره أصدق تصوير أقواله وأفعاله ، كما قال رسول الهدى ﷺ : « المسلم للمسلم كالبنيان ، يشد بعضه بعضاً » . اي متماسكاً مترابطاً . ميوله ومنازعه وهواه مع المسلمين ، لا يشذ عنهم بمبدأ لا يقره الاسلام ، ولا ينفرد بخلق يتنافى مع أخلاق الاسلام ، ولا ينظم دستوراً ، او يقترح منهجاً للاصلاح ، او يخطط تخطيطاً يتجافى مع أوضاع الاسلام وتعاليم الاسلام ، ليعطي بذلك الصورة الواضحة على تماسكه وترابطه ، وحبه الصادق للاسلام ، وإخوانه في الاسلام .

ولقد ضرب السلف رضوان الله عليهم أروع الأمثال للحب في الله ، حتى بلغ درجة الايثار على النفس ، وبكل مرتخص وغال ، فرسموا بذلك الطريق للسالكين ، وامتدحهم الله على حسن صنيعهم وإيثارهم ، وتفانيهم في الحب في الله ، فقال :(والذين تبوؤوا الدار والايمان من قبلهم ، يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) . أي ولو كان بهم فاقة أو حاجة إلى ما يبذلونه لإخوانهم في الله . وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « لقد رأيتنا على عهد رسول الله ﷺ ما منا أحد يرى أنه أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم » .

فأين منهم محبة الناس بعضهم لبعض في واقع الزمن ؟! إنها زيف تتكشف عن واقع مرير . تتكشف عن رياء وخداع ، ونصب واحتيال، ليوقع المسلم أخاه في الفخ ، ثم لا يبالي إلى أي هوة سحيقة يتردى إليها ، أو يهلك فيها ، يوهم المسلم أخاه أنه المخلص المتفاني في وداده ، الذي يسعى لصالحه ، ويقف إلى جانبه ، ويحب له ما يحب لنفسه ، وهو في واقعه المنافق الشرير ، والعدو اللدود تتكشف عن صور مروعة للحب الخداع الأثيم ، الذي يقوم على الأغراض القذرة الوضيعة ، وعلى المنافع غير المشروعة ، ثم لا يلبث أن ينهار بمجرد انقضاء الغرض ، أو يقوم الحب على الأهواء ، وينقلب لأتفه الأسباب حرباً عواناً لا هوادة فيها .

وهكذا كل حب لا يكون لله ، يغدو وبالا على أهله ، ولو طال أمده ، واستظل المحبون بظله في العاجلة ، فإن مآله في الآخرة دار البوار ، ومصداق ذلك قول رب العزة : (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) ، أي فإن محبة المتقين يؤجرون عليها ، ويتفيئون ظلالها في جنان الخلد ، ورضوان الله ، الذي هو محط الآمال ، وغاية الرجاء ، فقد جاء في الحديث : « سبعة يظلهم الله في ظله » . وذكر منهم رجلين تحابا في الله ، اجتمعا عليه ، وافترقا عليه . وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: «من أحب في الله ، وأبغض في الله ووالى في الله ، وعادى في الله ، فإنما تنال ولاية الله بذلك » ، أي إنما يولى الله

عبده بالنصر والتأييد والعون بهذه المحبة ، ولن يجد عبد طعم الايمان ، وإن كثرت صلاته وصومه ، حتى يكون كذلك .

وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئاً ، وإذا كانت مؤاخاة الناس ومحبتهم قد تغير لونها ، منذ عهد ابن عباس رضي الله عنهما ، فكيف بها في أعقاب الزمن ، وقد فسدت الضمائر والذمم ؟ ! لا بدع أن تكون للأغراض والمصالح والأهواء .

وكما يكون الحب في الله ـ يا عباد الله ـ يجب أن يكون البغض كذلك ، يجب أن يبغض المسلم من حاد الله ، وابتغى العوج في سبيل الله ، وعادى أولياء الله ، ومن تردى في حمأة الرذيلة بعد نصحه والاعذار اليه ، ويجب أن لا يجامله بالسكوت على آثامه ، لئلا يستشري الفساد ، وتسري به العدوى .

وإن من مظاهر الحب الصادق في الله ، أن يحمل المرء أخاه على الصلاح والاستقامة ، خوفاً عليه وشفقة به ، عملاً بقوله ﷺ : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » . ونصره ظالماً أن يأخذ على يديه ، سواء كان ظالماً لنفسه بارتكاب المعاصي ، أو ظالماً لغيره بالتجني عليه .

فاتقوا الله ياعباد الله ، واعلموا أن أوثق عرى الايمان : « الحب في الله ، والبغض في الله » ، كما صح بذلك الحديث ، وأن كل حب أو بغض لا يكون لله وفي الله لا تستقيم دعائمه ، ولا يلبث أن يزول بزوال الدوافع عليه .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : (إن المتقين في جنات وعيون ، أدخلوها بسلام آمنين ، ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين ، لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين) .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه ، أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، انه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله ، وعد المحسنين خير الجزاء ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، خاتم الرسل وسيد الأنبياء اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ! جاء عن بعض السلف ، في بيان حقيقة الحب في الله قوله : حقيقة الحب في الله أن لا يزيد بالبر ، وأن لا ينقص بالجفاء ، أي لا يكون الباعث على زيادة الحب في الله بذل الألطاف ، وتقديم التحف والهدايا ، أو القيام بالخدمات الخاصة ، ولا يكون الباعث على نقص الحب وفتوره ، مايحدث من اختلاف في الرأي ، أو تنافر في القلوب، يحدث الجفوة فإن الحب في الله لا يزيده اصطناع الصنائع ، ولا ينقصه الزلل والخطل .

٢٤ ـــ التحذير من العدوان وقتل النفس بغير حق [١]

الحمـــــد لله أمر بالتعاون على البر والتقوى ، ونهى عن التضامن في الاثم والعدوان ، أحمده سبحانه ، يزع بالسلطان مالايزع بالقرآن ، وأشهد أن لااله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، وضع أسس العدل بين الأمة ، وحارب الطغيان ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، الطغيان والعدوان يرجع تاريخه إلى عهد بعيد في الزمن الغابر ، حين اعتدى أحد ابني آدم على أخيه ، وسفك دمه ظلماً وعدواناً واندفاعاً نحو تحقيق الأطماع ، فكان قدوة سيئة للعدوان والطغيان ، وباء بالخسران ، وقص رب العزة خبر هذا الطغيان والعدوان في القرآن ، يتلى إلى الأبد ، انذاراً وتحذيراً ، ولئلا تسلك البشرية سبيل المعتدين، فيصيبهاماأصابهم قال تعالى : (واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق ، إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، قال : لأقتلنك !. قال:إنما يتقبل الله من المتقين) إلى أن قال : (فطوعت له نفسه قتل أخيه ، فقتله ، فأصبح من الخاسرين) .

وإن سنة الطغاة ـ يا عباد الله ـ واحدة في كل زمان ومكان ، هي اندفاع

---

(١) في ١٣٨٢/١٠/٢٠ هـ

نحو الشر ، تحقيقاً للأغراض والأطماع ، وكل طاغية معتد ، فيه من أوصاف من عناهم رب العزة بقوله : (لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة ، وأولئك هم المعتدون) ، أي لا يراقبون في العباد قرابة ، ولا يحفظون عهداً ، ولا يبقون على أحد لو ظهروا ، أو انتصروا ، الكل في شرعة المعتدين فقاقيع لا تستحق الحياة .

وإن شر الطغيان ـ يا عباد الله ـ وأفظع ألوان العدوان ، سفك الدم الحرام ، والمسلم قد حقن الله دمه ، كما جاء في الحديث : « كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه » ، فمن اجترأ على قتله دون جناية أو قصاص فقد حاد الله ورسوله ، وارتكب كبيرة من كبائر الذنوب مما يجر عليه الوبال ، والدمار ، ويصطلى بها العذاب خالداً في النار ، كما قال تعالى : (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم ، خالداً فيها ، وغضب الله عليه ، ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً) . وكما قال ﷺ : « لو اجتمع أهل السموات والأرض على قتل رجل مسلم ، لأكبهم الله في النار » وفي حديث آخر : « من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة ، جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله » .

وإذا كان هذا الوعيد في حق قتل نفس واحدة ، فكيف بالقتل الذي يذهب ضحيته النساء والأطفال ، والشيوخ والمرضى ، وكل بريء لا ذنب له؟ لا جرم أن يكون الوعيد في حق مقترفه أعظم ، وما يناله من الجزاء أشد

وأكبر ، يوم القصاص العادل : (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها ، وتوفى كل نفس ما عملت ، وهم لا يظلمون) .

وكيف إذا كان القتل وسفك الدماء لمجرد الحمية والعصبية ، أو للحسب والنسب ، أو لاثارة القلاقل بين المسلمين ، والمخالفة بين صفوفهم ؟! لقد تبرأ رسول الهدى ﷺ من كل العصبيات ، كيفما كان لونها واتجاهها ، ووضعها تحت قدميه إلا العصبية للاسلام ، وتبرأ ممن لا ينتمي إليها ، إذ يقول : « ليس منا من قاتل على عصبية » ، وقال : « من قتل تحت راية حمية ، يدعو إلى عصبية أو ينصر عصبية ، فقتلته جاهلية » . وما ذلك إلا لجمع شمل المسلمين ، والاتجاه بهم إلى توحيد الصفوف ، تحت شعار الاسلام ، وكلمة لا إله إلا الله .

لقد ضيق الاسلام دائرة إراقة الدماء المسلمة ، وجعلها درءاً لمفسدة أكبر ، أو ضرورة لاقامة العدل واستتباب الأمن بين المجموع ، فصح عن سيد الأنام أنه قال : « لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه ، المفارق للجماعة ».

وأباح قتل قطاع الطريق ، ومن يعبث في الأرض فساداً ، على تفصيل ذلك ، كما قال تعالى : (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون في الأرض فساداً ، أن يقتلوا ، أو يصلبوا ، أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض) وأهدر دم الخارج على جماعة المسلمين ، ومن شق

عصا الطاعة ، كما جاء في الحديث : « من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد ، يريد أن يشق عصاكم ، ويفرق جماعتكم فاقتلوه » .

كل ذلك ـ يا عباد الله ـ للحد من الطغيان ، وقمع العدوان ، واستقرار الأمن بين الجماعة .

فاتقوا الله عباد الله ، واحذروا مجالب سخط الله ، والتورط في كبائر الذنوب ، وفي طليعتها : قتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق ، وترفعوا عن الإثم في كل مجالاته ، وعن العدوان في مختلف ألوانه ، يستقم أمركم ، وتكونوا من صفوة عباد الرحمن ، الذين وصفهم بأشرف أوصاف الكمال ، في محكم الكتاب ، وأنزلهم غرف الجنان فقال : (والذين لا يدعون مع الله إله آخر ، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا يزنون) ، ثم ختم الوعد الكريم بالجزاء العظيم ، فقال : (أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ، ويلقون فيها تحية وسلاماً ، خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه . أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، انه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية [1]

الحمد لله ولي المتقين . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له،وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، سيد الأولين والآخرين ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، يقول رسول الله ﷺ ، إخباراً عما يقع عند فساد الزمان ، وهو علم من أعلام النبوة : « إنها ستكون فتن ، القاعد فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي إليها ، ألا إذا نزلت أو وقعت ، فمن كانت له إبل فليلحق بإبله ، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه ، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه » . يحذر بذلك رسول الله ﷺ أن يكون لأحد من أمته ضلع في الفتن ، فقال رجل : يارسول الله أرأيت إن لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض ؟ قال : « يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر ، ثم لينج إن استطاع النجاة » . ثم قال : « ألا هل بلغت ؟ ! » قالها ثلاثا . وفي ذلك ياعباد الله السلامة والعافية ، سلامة الدين ، والعافية مما تجره الفتن على أهلها من ويلات .

---

(١) في ١٣٨٢/١٠/٢٠

٢٥ ـ في بيان الحدود الشرعية والحث على إقامتها [١]

الحمد لله يعلم ما تسرون وما تعلنون ، أحمده سبحانه ، وهو القائل : (ولكم في القصاص حياة ياأولي الألباب لعلكم تتقون) وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، أرأيتم الصرح المنيع الشامخ في بنيانه ؟ ! إنـه مثل الإسلام في تكامله ، وتماسكه ، واستقامته بحدوده وأركانه وقيوده ، لايصح أن ينتهك أحد سياجه ، أو يستبيح حماه ، أو يتعدى حدوده ، ومن يفعل ذلك عن نزوة أو صبوة ، فقد ظلم نفسه ، وأهدر حرمته ، وشرع الله الانتقام منه ، جزاء من جنس عمله ، وقصاصاً عادلاً لا نقد عليه ولاتجريح كما قال تعالى : (تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) . وقال تعالى : (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حـدوده ، يـدخله ناراً خالداً فيها ، وله عذاب مهين) . وقال في شحذ عزائم المؤمنين ، لإقـامة حدود الله على المعتدين ، وعدم الاستسلام للعاطفة : (ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طـائفة من المؤمنين) .

---

(١) في ١٥ / ٨ / ١٣٨٢

وقال موجهاً أنظار الأمة لثار إقامة الحدود على المعتدين : (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون) . وقال رسول الله ﷺ ، ترغيباً في إقامة الحدود : « لحد يقام في الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا أربعين صباحاً » وقال عندما أراد البعض إسقاط القطع عن السارق : « وأيم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .

ولقد أوضح الله سبحانه في كتابه الجزاء العادل في الاقتصاص ، دون غلو أو مداراة ، ودون مجاملة أو غمط في استيفاء الحدود ، فقال : (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والأنف بالأنف ، والأذن بالأذن ، والسن بالسن ، والجروح قصاص) .

وأوضح رسول الهدى ﷺ إقامة الحدود ، قولاً وعملاً ، بما لا يجعل مجالاً للرأي والاجتهاد في استيفائها ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في حد السرقة : « إن سرق فاقطعوا يده ، ثم إن سرق فاقطعوا رجله ، ثم إن سرق فاقطعوا يده » أي الشمال ، « ثم إن سرق فاقطعوا رجله » .

وجاء في حد الزنا للبكر الذي لم يسبق له زواج من رجل أو إمرأة قوله ﷺ : « البكر بالبكر جلد مائة ، وتغريب عام » . كما قال تعالى : (الزانية والزاني ، فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) . وجاء في حد الزاني المحصن

(الرجم) ، كما ثبت من سنة المصطفى ﷺ قولاً وعملاً ، فقد رجم ﷺ رجلاً وإمرأة بالزنا . وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده من زنا اذا احصن من الرجال والنساء اذا قامت البينة ، أو كان الحمل أو الاعتراف » . وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، في حادثة رجم وقعت على عهد رسول الله ﷺ : « فرجمناه بالمدينة فلما اذلقته الحجارة ـ أي آلمته ـ هرب حتى أدركناه في الحرة ، فرجمناه حتى مات . فقال له النبي ﷺ خيراً أي للمرجوم ـ وصلى عليه » .

وجاء في حد الخمر : « من شرب الخمر فاجلدوه ، فإن عاد في الرابعة فاقتلوه » .

وجاء في حد القذف قوله تعالى : (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً ، وأولئك هم الفاسقون) .

كل أولئك ياعباد الله ، حدود شرعها رب العالمين ، وأرحم الراحمين ، لحفظ التوازن في المجتمع ، ولصون الأخلاق من الانهيار ، وهي بالنسبة لمن تقام عليه تطهير وتزكية ، كما جاء في الحديث ان رسول الله ﷺ قال لمن شتم المرأة المرجومة : « مهلاً فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له » . فما بال الناس في اعقاب الزمن ، وقد طغت عليهم الأفكار العصرية وتشبعوا بآراء الغرب ؟ ما بالهم يسخرون من اقامة حدود الله كما امر الله ؟

ويتبجحون دون تدبر وتعقل ، قائلين : انها همجية وحشية ، لايأخذ بها الا الرجعيون .

أو لم يعلموا أن هذه السخرية والنقد اللاذع لإقامة الحدود ، ردة عن الإسلام ، وخروج عن الدين ؟ ! كما قال تعالى في حق أمثالهم من الساخرين المستهزئين ، الذين جاؤوا إلى الرسول ﷺ معتذرين : (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ؟ لا تعتذروا ، قد كفرتم بعد إيمانكم) .

ونص العلماء رحمهم الله ، أن بغض شيء مما جاء به الرسول ﷺ أو الاستهزاء به ، أو فقد شيء من الدين ـ من الثواب والعقاب ـ فهو كفر واضح، لا شبهة فيه ، وماذا عسى أن يبقى للمسلم من دينه ، بعد أن سخر من أحكامه ، واستطال في نقده ؟ .

فهلا كان الأجدر بأرباب النهي ، الآخذ على أيدي الساخرين ، ومن يعلن القدح في شريعة سيد المرسلين ، وهلا كان لمن بأيديهم التوجيه أن يتقوا الله في النشء وشباب الاسلام ؟ وأن يعدوه إعداداً صالحاً للدين والدنيا ، ليخوض غمار الحياة بعقل ودين ؟ ! .

فاتقوا الله ياعباد الله ، واعلموا أن الاسلام ليس مجرد القول باللسان ، ولكنه الاستسلام والاذعان الشامل الكامل ، لكل ما جاء في الاسلام ، من فروض وحدود ، وأحكام وفضائل ، دون اتباع للهوى ، في الأخذ والترك

منه بما يهوى المرء ويشتهي ، ودون التأثر بالعاطفة ، وبأي عامل آخر ، فقد صح عن سيد الأنام أنه قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه . أقول قولي هذا ، واستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، انه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية (١)

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ! خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : « إنا لا نجد من الرجم بدأ - يقصد رجم الزاني المحصن ، فإنه حد من حدود الله تعالى ، ألا وان رسول الله ﷺ قد رجم ورجمنا بعده ، ولولا ان يقول قائلون : إن عمر زاد في كتاب الله ما ليس فيه ، لكتبت في ناحية

(١) في ١٥/٨/١٣٨٢ هـ .

المصحف وشهد عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وفلان أن رسول الله ﷺ قد رجم ورجمنا بعده ، ألا انه سيكون قوم من بعدكم يكذبون بالرجم وبالشفاعة ، وعذاب القبر » . وكأن أمير المؤمنين عمر ، رضي الله عنه يحدث عن واقع الناس في أعقاب الزمن ، حين أصبح إقامة حد الرجم بينهم غريباً ، بل كل تعاليم الدين اضحت لدى الأكثرين غريبة ، نتيجة ضعف الثقافة الدينية ، وتغلب الثقافات المستوردة عليهم . فيا لغربة الدين ! ! ويا لغربة الاسلام بين أهله ! .

٢٦ ـ التعليق على وصية الرسول ﷺ لابن عباس « احفظ الله يحفظك[١] »

الحمد لله الذي قدر فهدى ، أحمده سبحانه ، له ما في السموات وما في الأرض ، وما بينهما وما تحت الثرى ، وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد ان سيدنا محمداً عبده ورسوله ، الداعي إلى كلمة التقوى . اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، زينة الحياة ، وعدة الزمان بعد الله ، شباب الاسلام ، الذين نشأوا في عبادة الله ، والذين تركوا الصبوة ، وانقطعوا عن

(١) في ١٣٨٣/٦/٧ هـ .

النزوة ، واستبقوا ميادين الباقيات الصالحات ، فوعدهم الله انيظلهم بظله ، يوم لاظل إلا ظله ، لذا كان في طليعة الواجبات على المجتمع الاسلامي تنشئة شباب الجيل ، وأخذهم بتعاليم الاسلام ، وتزويدهم بالوسائل الناجحة لخوض غمار الحياة ، متدرعين بالدين معتصمين بالله رب العالمين (ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم) .

ولقد كان من حرص رسول الهدى ﷺ على هداية الأمة والعناية بشبابها في التقويم والتوجيه ، أن وجه إلى ابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ـ وقد كان في زهرة الشباب ـ بل وجه إلى الأمة جمعاء ، وخاصة الشباب ، وصية هي ملاك السعادة ، ومشعل النور في حالك الظلمة ، وهي جديرة بأن ينقشها كل فردعلىصفحات قلبه ، جديرة أن يلقنها كل مسلم أبناءه وشباب جيله يقول رسول الرب الرحيم موجهاً الخطاب إلى ابن عباس :

« يا غلام ! ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ؟ » قلت : بلى يا رسول الله ، قال : « احفظالله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء ، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك » .

وإنها ـ يا عباد الله ـ توجيهات كريمة ، لو نشيء عليها الشباب ، وأخذ الناس بها بعين الاعتبار ، لصلح لهم أمر الدين والدنيا معاً ، وجمعوا أطراف السعادة في العاجلة والعقبى .

فحفظ المرء لربه هو أن يستجيب لأمره ، ويجتنب نهيه ، ويستبق ميادين الباقيات الصالحات في حياته .

وحفظ الله لعبده ، هو أن يحفظ له مصالح دنياه ودينه ، فيحفظ له صحته وعقله وماله ، وأهله وولده ، ويشمله بلطفه في قضائه وقدره ، وفي ذلك سعادة الدنيا ونعيمها ، ويحفظ عليه دينه من الزيغ والشبهات ، والفتن المضلة ، حتى يتوفاه الله على الاسلام ، ويدخله الجنة دار السلام ، ومصداق ذلك قول الملك العلام : (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) .

ومن حفظ الله ورعى حقوقه ، وجد الله معه ، يحوطه بنصره وتأييده وتوفيقه ، فيطوي مرحلة حياته موفقاً مسدداً ، كما قال تعالى : (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) ، وجاء في حديث قدسي : « ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها » أي يكون في حماية الله

وحفظه ، بعيداً عن الزلة قريباً إلى الخير . « ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذ بي لأعيذنه » .

ويجب أن يدأب المسلم على مسلك التقى ونهج السداد ، لا أن يكون تنسكه وطاعته لله في فترة معينة وظرف خاص، أو حسب المزاج ، أو لحاجة يرجو قضاءها ، فإذا ظفر بمطلبه نكص على عقبه ، وعمل بمعصية ربه ، وذلك ما أشار إليه المصطفى ﷺ بقوله : « تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة » ، فببركة استقامة العبد أبداً على الطاعة وتوثيق صلته بربه في حالة رخائه وصفائه ، وصحته ونعمائه ، يكون الله له عوناً في شدائده ، منقذاً له في حال كربه وبلائه ، كما أنقذ ذا النون عليه السلام وقال عنه : (فلولا أنه كان من المسبحين ، للبث في بطنه إلى يوم يبعثون) ، وقال أيضاً : (فنجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين) .

ثم في توجيه الأمة إلى التعلق بالله وسؤاله جلب النفع وكشف الضر ، وطلب العون من الله دون سواه ، في ذلك دعم لعقيدة التوحيد التي عليها مدار العزة، وحسن العاقبة ، فمن سأل الله وحده استجاب له وكفاه وأغناه ، ومن استعان بغيره خذله وأذله ، ووكله إلى من تولاه ، لا إله غيره ولا رب سواه !!

وختمت التوجيهات النبوية الكريمة ـ بما يربط على القلوب ، ويقوي الثقة بالله ، ويقطع حبل التعلق بالمخلوق ، رغبة إليه وتمسكاً بأعتابه ، ورهبة منه ،

وحذراً من مضرته وعقابه ، فمصير الأمور إلى الله ، وهي جارية على ما قضاه الله في الأزل ، كما جاء في الحديث: «إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها ، فاتقوا الله واجملوا في الطلب » .

فاتقوا الله عباد الله ، وليكن لكم من وصية الرسول ﷺ ، التي وجهها إلى الأمة وخاصة الشباب في شخص ابن عباس رضي الله عنهما - خير نهج تنتهجونه، وخير وسيلة تحرزون بها العزة ، وتنالون بها السعادة .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : (إنه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم ، لا يموت فيها ولا يحيا ، ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى ، جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك جزاء من تزكى) .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ،ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله ذي العظمة والجلال ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، حميد المزايا والخصال ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده ، فإن الله ينزل العبد منه ، حيث أنزله من نفسه » ، أي بقدر اهتمام العبد بحقوق الله ، واستجابته لأمره ونهيه ، تكون عناية الله به ، وحفظ الله له ، فكونوا عباد الله ، ممن حفظ الله بأداء حقوقه ، يحفظ الله عليكم مصالح الدين والدنيا ، ويهيء لكم من أمركم رشداً .

٢٧ — في التحذير من التنكر لأخوة الاسلام

الحمد لله يوقظ القلوب الغافلة بالوعظ والتذكير ، أحمده سبحانه ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، البشير النذير ، والسراج المنير ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، عندما تختل الموازين ، تنعكس الأوضاع ، فيصبح الباطل حقاً ، ويغدو الظلم والجور عدلاً ، والفضيلة رذيلة ، حتى تفسد الفطر وتلتاث العقول ، لذا كان في طليعة ما عني به الاسلام لحفظ التوازن بين المسلمين وإقامة موازين العـــدل في مجتمعهم ، أن وثق بينهم روابط الاخوة في الله ، وجعلها فوق كل اعتبار ، ثم نمى هذا الاخاء بما فرضه من التضامن والتعاون ،

حتى جعل المسلم للمسلم كاللبنة في البناء ، كما وصفه رسول الهدى ﷺ بقوله : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » .

وباعد بين المسلم وبين كل ما يوهن الإخاء ، أو يحدث فيه الصدوع ، من المهابط والرذائل ، كإساءة الظن ، أو التجسس ، أو التحاسد والتباغض والتدابر ، كما جاء في الحديث : « إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يكذبه ، ولا يحقره ، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه » .

وبهذه التوجيهات الرفيعة ، لم تختل الموازين بين المسلمين كغيرهم ، بل استقامت الأوضاع ، وأضحى المجتمع الاسلامي خير مجتمع عرفته الدنيا ، متماسكاً متضامناً ، بعيداً عن المهابط ، كما وصف الله واقع أهله بقوله : (كنتم خير أمة أخرجت للناس) .

غير أن مما يبعث على الأسى أن ينعكس الوضع ، ويطرح البعض من المجتمعات الإسلامية فضائل ومحاسن دينه ، ويتنكر لأعظم رباط وثّقه الله بينهم ، ويغدو الأخ معول هدم في كيان أخيه ، يسومه الخسف ، ولا يرعى فيه حقاً لإخاء ، ولا واجباً لولاء ، فالدم الحرام الذي أحاطه الإسلام بسياج

منيع ، والذي توعد الله منتهكه بقوله : (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيهـــا ، وغضب الله عليه ولعنه ، وأعد له عذاباً عظيما) أضحى هدراً ، يستباح لأتفه الأسباب ، بل للهوى واستفزاز الشيطان ، وكذا المـال لم تعد له صيانة وحصانة ، بل أضحى يستلب قهراً ، ويؤخذ ظلماً وعدواناً .

وعرض المسلم الذي حظر الاسلام الوقوع فيه ، وقال عنه رسول الله ﷺ : « أشد الربا وأخبث الربا انتهـــاك عرض المسلم » ، أصبح سلوى للسامرين ، وملهى للمتحدثين ، فلا يكاد يخلو مجلس من غيبة ، ولا مجتمع من استطالة في عرض مسلم .

أما التحاسد والتباغض والتدابر ، وإساءة الظن بالمسلم ، فقـد غدا بين البعض وكأنه فضيلة من الفضائل تكتسب ، لا رذيلة من الرذائل يجب أن تجتنب وتدفع ، وبذلك فقد المسلمون عناصر القوة ، حين اختلت فيهم روابط الاخوة في الله ، فلم يبال الله بهم ، إذ كانوا ممن ذم الله صنيعهم بقوله : (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ، لست منهم في شيء) وجعل الله بأسهم بينهم ، فلهم في كل فترة من الزمن تطاحن وتجالد ، دماء تهراق ، وفتن تطلع رؤوسها، تأكل الأخضر واليابس ، وهو ما أشار اليه رب العزة بقولة (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم ، أو من تحت أرجلكم ، أو يلبسكم شيعاً ، ويذيق بعضكم بأس بعض) . قال ابن عباس وغيره من مفسري السلف :

يسلط بعضكم على بعض بالعذاب والقتل . وقال بعض الصحابة رضوان الله عليهم : عندما نزلت هذه الآية قام رسول الله ﷺ محذراً قائلاً : « لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » . قالوا : يارسول الله أيكون ذلك ونحن نشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ؟ ! قال : « نعم » ، أي استفظع الصحابة النكوص على الأعقاب، بعد أن ألف الله بين قلوب المسلمين، وأصبحوا بنعمته إخواناً ، كيف يكون منهم بعد هـــذا تدابر وتقاطع ، ووقوف المسلم في وجه أخيه ، يشهر عليه السلاح ، ويقذفه بالقذائف ، وأشق وأدهى أن يتجه المسلم اتجاهات متأثراً بعصبية أو نعرة هدمها الاسلام .

يجب أن لا يفخر المسلم ، أو يعتز إلا بإسلامه ، وانه ابن الإسلام : (هو سماكم المسلمين من قبل) . سمع رسول الله ﷺ سلمان الفارسي في غزوة أحد يقول : خذوها مني وأنا الغلام الفارسي، فلم يقره الرسول على اعتزازه بقومه، بل قال له : « هلاً قلت : وأنا الغلام الأنصاري ؟ » لأن الاعتزاز بالأنصار الذين تبوؤوا الدار والإيمان ، هو اعتزاز بالاسلام ، فاتقوا الله عباد الله ، وحذار من التنكر لأخوة الاسلام ، واطراح فضائله ومحاسنه ، أو الاعتزاز بشعار غير شعار الاسلام ، فقد ألف الله القلوب بعد الفرقة ، وأتم به على المسلمين النعمة ، ورضيه لهم ديناً ، مهيمناً على سائر الأديان .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : (اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام ديناً) .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه . أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، انه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله الولي الحميد ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صاحب الخلق الحميد ، والنهج السديد ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ! جاء في الحديث عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه أنه قال : كان الناس إذا نزلوا منزلاً تفرقوا في الشعاب والأودية ، فقال النبي ﷺ « ان تفرقكم هذا من الشيطان » . فلم ينزلوا بعد ذلك إلا انضم بعضهم إلى بعض لو بسط عليهم ثوب لعمهم ، واجتماع الأشباح - يا عباد الله - رمز لاتحاد الأرواح وعامل عليه ، فاعملوا رحمكم الله بإخوة الاسلام ، فهي أساس للاجتماع ، وضمان من الفرقة ، وصون للمجتمع من أن تختل فيه الموازين .

٢٨ ـ في التوجيه إلى فضيلة ليلة النصف من شعبان والكشف عن المبتدعات فيها [(١)]

الحمد لله الذي اهتدى بهديه المهتدون ، أحمده سبحانه أكمل لعباده الدين ، فسار على نهجه المفلحون ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادق المأمون ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ! أرأيتم الصراف الحاذق كيف يفحص الدراهم ويعرف الزيف منها من الصحيح ؟ ! انه يا عباد الله ، مثل للمسلم الواعي ، حين يفحص كل ما يلقى إليه باسم الدين ، مما تضمنته الكتب فيعرف الصحيح منه من السقيم ، بمعايير وضعها الاسلام ، وأوضح عنها القرآن في أوضح بيان ؛ قال تعالى : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) . وقال تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) ، فكل عمل يصطبغ بطابع الدين ، يجب أن يوزن بهذا المعيار ، طاعة الرسول فيما جاء به ، واتباعه ، وبذلك يسلم للمرء دينه من الزيف والدخيل ، ويصل به إلى أكرم غاية كما قال تعالى : (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين ، والصديقين ، والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً) .

---

(١) في ١١ / ٨ / ١٣٨٦ هـ .

وإن مما يجب أن يوزن بمعيار الدين ، وينتهي العباد فيه لأمر سيد المرسلين ، ﷺ ، كدليل على حبه واتباعه ، التطوع بنوافل العبادة ، وخاصة في الأيام والليالي المفضلة ، كليلة النصف من شعبان ، فلقد ورد فيها من الآثار ، وأقوال السلف ، ما يوجه الانظار اليها . يقول شيخ الاسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في كلام طويل : فقد روي في فضلها من الأحاديث والآثار ما يقتضي أنها ليلة مفضلة . ومن العلماء من السلف ، من أنكر فضلها ، وطعن في الأحاديث الواردة فيها ، وقال : لا فرق بينها وبين غيرها من الليالي ، لكن الذي عليه كثير من أهل العلم على تفضيلها ـ إلى آخر ما قال رحمه الله في موضوعها .

أما الليلة التي قال عنها رب العزة : (فيها يفرق كل أمر حكيم) ، فهي ليلة القدر ، لا ليلة النصف من شعبان ، على قول جمهور العلماء رحمهم الله .

وان المسلم الواعي الرشيد ، يا عباد الله ، لا يعتمد في دينه إلا على ما صح النقل به عن المصطفى ﷺ ، وخاصة فيما تضاربت فيه الأقوال ، واختلفت فيه الاتجاهات ، فدين المسلم هو رأس ماله ، وهو أغلى ما يعتز به ، إذ يترتب عليه نجاته وفلاحه ، ولقد اشتغلت بعض المجتمعات الاسلامية ، بما ورد من الآثار عن ليلة النصف من شعبان ، واعتمدت ما سطر في بعض الكتب عن حسن ظن ، من تخصيص هذه الليلة بدعاء يقرأ فرادى وجماعات ، يتخلله قراءة سورة (يس) ، مرة بنية طول العمر ، ومرة بنية دفع البلاء ، ومرة بنية

الاستغناء عن الناس . ترى هل غفل عن هذا التوجيه رسول الهدى ، وهو الحريص على هداية الأمة إلى ما فيه سعادتها وبلوغها أرفع الأماني ؟ ! حاشا ومعاذ الله أن يكون ذلك !! وقد وصفه رب العزة بقوله:(لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم) أي على هدايتكم (بالمؤمنين رؤوف رحيم) .

إن ليلة النصف من شعبان ، يا عباد الله ، يحسن أن لا يسقطها المسلم من حسابه ، وأن لا يكون فيها من الغافلين ، ولقد ورد أن قيام الليل يحصل بصلاة العشاء في جماعة ، والعزم على صلاة الفجر في جماعة . فلو لم يكن من المسلم إلا ذلك لكتب من القائمين الذاكرين ، وخرج من زمرة الغافلين . أما التزام لون من العبادة مخصوص بها ، كصلاة بعدد مخصوص ، وترتيل أدعية مخصوصة ، أو تلاوة سور من القرآن بعدد معين ، وبنية مخصوصة ، أما ذلك فلم ينقل عن سلف الأمة ، وخيارها في عصور الهداية والنور ، فلا يصح الاعتماد عليه ، وإن تناقلته بعض الكتب ، واستحسنه البعض من العلماء ، لأن أمور العبادة توقيفية ، لا دخل للرأي فيها ، ولا للاستحسان ، بل لا بد فيها من أخذ القدوة والاسوة من المعصوم ﷺ ، فمن اهتدى بهديه ، وأطاعه فيما أمر به ونهى عنه ، والتزم اتباعه أعظم الله له الأجر ، وبلغه أمنيته في إطالة عمره بوضع البركة فيه ، والانتفاع به ، ودفع البلاء عنه ، وإغنائه عن الناس ،

فاتقوا الله ، يا عبـــاد الله ، واعتمدوا في دينكم على ما صح به النقل عن رسول الله ﷺ ، وضعوا نصب أعينكم على الدوام ، قول رب العزة (لقـد كان لـكم في رسول الله أسوة حسنة ، لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيراً) .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه . أقول قولي هـذا ، واستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله الحكيم في شرعه ، العليم بمصالح عباده ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، لا يكمل الايمان إلا بمحبته وطاعته ، والاهتداء بهديه ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، جـاء عن الفضيل بن عياض رحمه الله في تفسير قول الله تعالى : (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً ، والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنة ، فاحرصوا رحمكم الله أن تجعلوا عباداتكم خالصة لله ، موافقة للسنة ، يجمع الله لكم بين أجر الاخلاص ، واتباع السنة .

٢٩ ـ في الحث على الأخذ بمناهج الصالحين [1]

الحمد لله ولي الصالحين ، أحمده سبحانه ، يحب المحسنين ، ويجزي الجزاء الأوفى للمتقين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، سيد الأولين والآخرين ، وقائد الغر المحجلين ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، في زحمة هذه الحياة ، وبين مجالات لهوها ولعبها وزخرفها ، لن تعدم الأمة الصالحين الخيرين من أبنائها ، الذين يأخذون من الدنيا بقدر ، ويقبلون على الله بعزم وصبر ، يبتغون الزلفى إلى الله ، في مختلف ما يبذلونه من صالح الأعمال ، يرجون بذلك الربح الوفير ، والتجارة التي لن تبور ، فهم ممن وصفهم الله في معرض المدح ، وقوى عزائمهم للكدح فقال : (إن الذين يتلون كتاب الله ، وأقاموا الصلاة، وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية، يرجون تجارة لن تبور ، ليوفيهم أجورهم ، ويزيدهم من فضله ، إنه غفور شكور) .

ثلاثة عوامل ـ يا عباد الله ـ اعتمدها الصالحون الخيرون في دور الاختبار ، وعلقوا عليها الأمل في ربح التجارة : الاقبال على تلاوة كتاب الله في تدبر

---

(١) في ١٣٨٣/٥/١ هـ

وأتعاظ ، ووقوف عند عبره ، وعمل بتوجيهه وهديه ، ورهبة عند وعيده ، ورغبة واطمئنان عند وعده ، وتلك هي التلاوة النافعـة التي تحدث في نفسية المسلم تحولاً محموداً ، يجـد أثره برداً في قلبه ، وسلاماً في حياته ، ثم العزم والحزم في اقام الصلوات المكتوبة ، بحدودها وقيودها ، والخشوع فيأدائها ، وعدم التسويف والتشاغل عنها بمنصب أو مال ، أو تجارة ورياسة ، أو بأي شيء آخر من مشاغل الحياة وزخرفها ، فضلاً عن لهوهـا ولعبها ، ثم مواساة البؤساء والفقراء بالأموال ، ومعـاونتهم بالفاضل من رزق الله ، لا يضنون به أو يكتنزونه ، وفي مجتمعهم من أضناه الفقر وعضه البؤس ، وكانت المواسـاة منهـم تختلف باختلاف المناسبات ، سراً وعلناً ، سراً خشية الرياء والسمعة ، ولباس ثوب الشهرة ، وعلناً مع الأمن من ذلك ، للقـدوة بهم ، واشاعة الخير في مجتمعهم ، فبلغوا بذلك أرفع مجالات الخير ، وشملهم الله بالعفو والغفران ، وكريم الجزاء في رفيع الجنان .

قال ابن عباس رضي الله عنهما ، في تفسير قوله تعالى : (ليوفيهم أجورهم ، ويزيدهم من فضله) ، يوفيهم جزاء أعمالهم ويزيدهم من الثواب ، مما لم ترَ عين ولم تسمع أذن ، ويغفر العظيم من ذنوبهم ، ويشكر اليسير من أعمالهم ، وانها ـ يا عباد الله ـ سعادة لا تعدلها سعادة ، يحرزها كل من سار على نهجهم من هذه الأمة المرحومة ، وسلك سبيلهم ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشـاء ، والله ذو الفضل العظيم .

أما من كان على النقيض من سيرتهم ، طغت عليه الروح المادية ، واستبدت بتفكيره ، فقطع الأشواط في الحياة ، مشتغلاً عن الله ، معرضاً عن ذكره ، وتلاوة آياته ، مفرطاً في صلواته ، ممسكاً بالفضل من ماله ، خشية الفقر ، أو لتأمين المستقبل على زعمه، متبعاً لشهواته ، ومستجيباً لنزواته ، فهو ممن نسي الله ، فأنساه العمل لصالحه ، وما فيه فلاحه ونجاحه ، وممن ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، فاتقوا الله عباد الله ، وتأسّوا بالصالحين الخيرين ، وجانبوا مسالك الماديين ، المنحرفين عن جادة الرشاد ، وسبيل الهدى والسداد ، لتحرزوا السعادة في الدارين ، ولتكون لكم بما أسلفتم من صالح الأعمال قرة عين .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض ، إن الله لا يحب المفسدين) .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه . أقول قولي هذا ، واستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية [1]

الحمد لله على التوفيق والتسديد ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صاحب الخلق العظيم والنهج السديد ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله : جاء في الحديث عن الصادق المصدوق ، صلوات الله وسلامه عليه انه قال : « يبعث كل عبد على ما مات عليه » وذلك ما يحفز الهمم على حسن العمل ، وملازمة السنن ، والاخلاص لله في القول والفعل ، ليموت العبد على خير حال ، وليكون قرير العين في المآل .

٣٠ ـ في الحث على شكر النعماء والصبر على البلاء [2]

الحمد لله الفعال لما يريد ، أحمده سبحانه وأشكره، والشكر واجب له على كل العبيد ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صاحب الخلق الحميد والنهج السديد ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، الشكر على النعماء ، والصبر على مر البلاء ، ديدن

(١) في ١ / ٥ / ١٣٨٣ هـ .
(٢) في ٢٣ /٥/ ١٣٨٣ هـ .

المؤمن وطابعه الذي يتسم به ، لا تبطره النعم فيطغى ، ولا تضجره البلوى فيتصرف تصرف الحمقى ، ولقد عرض رسول الهدى ﷺ لهذا الواقع في معرض الإشادة والحمد فقال : « عجب أمر المؤمن ، إن أمره كله عجب ، إن أصابته سراء شكر ، فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر ، فكان خيراً له ، وليس ذلك إلا للمؤمن » .

ورسم السلف رضوان الله عليهم أروع الأمثال في الشكر والصبر ، فكانوا بذلك خير قدوة للأجيال ، تتأثر خطاهم ، وتسير على منهاجهم ، فيحرز الخلف ما أحرزه السلف من الخير والأجر ، جزاء الشكر والصبر ، ومن أمثلة ذلك - والأمثلة لا يحدها الحصر - ما مني به المسلمون في صدر الإسلام ، من التعذيب والتنكيل من الجاهلين ، فلم يزدهم ذلك إلا صبراً ، وإصراراً على الثبات ، وكان الرسول العظيم من قِبَله يحفز هممهم للزوم طريق الحق ، مهما صادفهم من محن ، ومهما اعترضهم من بلاء ، حتى لقد سأله أحدهم أن يدعو الله في تخفيف ما ينالهم من المشركين ويستنصر لهم قال : « لقد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض حفرة ، فيجعل فيها ، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه ، فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ، ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه » .

وكانت نتائج هذا الصبر الجميل أن دانت لهم الدنيا ، وتهاوت تحت أقدامهم عروش الفرس والروم ، وعاشوا أعزة في دنياهم ، وشكروا الله على ما

خولهم وأولاهم ، ثم خلف من بعدهم خلوف ، تعرف من أمرهم وتنكر ، ينتسبون إلى الإسلام ولا يطبقون تعاليم الإسلام ، تفت في عضدهم فتن الزمان ومحن الأيام ، وهم أبعد الناس عن شكر لقاء نعمة ، وعن صبر إزاء محنة ، إنهم ممن عناهم رب العزة بقوله : (ومن الناس من يعبد الله على حرف ، فإن أصابه خير اطمأن به ، وأن أصابته فتنة انقلب على وجهه ، خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين) .

ومنهم من يتهم الله في عدله ، ويجوز عليه الظلم في حكمه ، عياذاً بالله من ذلك، حديثه على الدوام، الاعتراض على الملك العلام ، كيف أغنى هذا وأفقر ذلك ؟ وكيف رفع من شأن هذا ووضع من أمر هذاك ؟ كأنه لم يطرق سمعه يوماً قول ربه : (لايسأل عما يفعل) وقوله : (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) ومن هذا شأنه لا يعرف قلبه إلى الشكر والصبر سبيلا .

ومنهم من فقد سلطان الدين على نفسه ، واستولى عليه اليأس في حياته ، فعندما تعرض له أزمة ، أو يزعجه مطلب من مطالب الحياة ، أو يركبه الدين، أو يحكم عليه بحكم قاس، أو يمنى بالفشل في حياته الزوجية ، يغدو ليضع حداً لشقائه ومتاعبه على زعمه ، ويستجيب لتزيين الشيطان ، فيقدم على الانتحار ، ترى ماذا يجنيه من وراء هذا التصرف الطائش ؟! لقد أزهق نفسه ، وتجرع كأس الموت

في أفظع تجربة ، سواء كانت باحتساء السم ، أو بحرق الجسد ، أو بالشنق ، أو بالتردي من شاهق ، أو بغير ذلك من الوسائل التي يستعجل بها الموت ، ففي كل ذلك غضب الله وسخطه ، لقد زعم المنتحر أنه بإزهاق نفسه يخلص إلى حياة لا ينغصها عليه منغص ، ولكن مقتضى العدل الإلهي عامله بنقيض قصده ، حيث أعد له جزاء من جنس عمله إمعاناً في النكاية به ، وامتداداً لتعذيبه كما في الحديث عن المصطفى ﷺ أنه قال : « من قتل نفسه بحديده فحديدته بيده يجأ بها بطنه يوم القيامة في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبدا ، ومن قتل نفسه بسم تردى به فسمه في يده ، يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبدا ، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو مترد في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومن قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة » وقال أيضاً : « كان رجل ممن كان قبلكم ، كان به جرح - أي فأضجره - وطال ألمه به فأخذ سكيناً نحر بها يده ، فما رقأ الدم حتى مات ، فقال الله عز وجل : عبدي بادرني بنفسه ، حرمت عليه الجنة » .

فأي وعيد يا عباد الله أعظم من هـذا الوعيد ، وأي حرمان بعد الحرمان من النعيم في منازل الرضوان ؟ فاتقوا الله عباد الله ، واطووا مرحلة الحياة بخطى ثابتة ، لا يحولها عن الإيمان وتعاليم الدين ، عواصف الفتن ، ولا يزحزحها عن الرضاء بقضاء الله وقدره الشدائد والمحن ، ولا يخرجها عن الرشاد إلى الفساد استفزازات الشيطان وتسويلاته ، فآية الإيمان : صبر على البلاء ، وشكر على النعماء .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : (ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ، ومن يؤمن بالله يهد قلبه ، والله بكل شيء عليم) .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب . فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية [1]

الحمد لله كتب على نفسه الرحمة ، يقيل العثرات ، ويعفو عن الزلات ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، جاء عن بعض السلف رضوان الله عليهم في تفسير قول الله تعالى : (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم ، إلا في كتاب من قبل أن نبرأها) قال : هو العبد تصيبه المصيبة ، فيعلم انها من عند الله ، فيرضى ويسلم ، ذلكم يا عباد الله ، هو معيار الايمان الصادق ، واليقين الكامل .

---

(١) في ٢٣ /٥/ ١٣٨٣ .

٣١ ـ معاتبة الله للسلف وتحذيرهم من أن يكونوا كأهل الكتاب [١]

الحمد لله أوضح للعباد طريق الرشاد، أحمده سبحانه، وهو الرقيب على العباد، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، شفيع المؤمنين يوم التناد، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد، فيا عباد الله! العتاب وسيلة من وسائل التقويم، خفيفة المحمل، له الأثر الفعال في استنهاض الهمم، وتوجيه النفوس إلى الأفضل والأمثل، مما يجب المصير اليه، والأخذ به لصلاح الحال والمآل، ولقد كان من تقويم الله للمؤمنين في صدر الإسلام، عندما استبطأ قلوبهم في الاقبال عليه، والخشوع عند ذكره، ان عاتبهم، موقظاً شعورهم، نحو ما يجب عليهم من تلقي إشعاع الدين، ونور الحق، وهداية القرآن، بالخشوع الكامل، الذي يعبر عنه الاستسلام، والاذعان الشامل، لكل ما جاء عن الله من تشريع وأحكام، والأخذ به في حزم وعزم، دون كلل، أو إهمال وملل، مهما تقادم العهد وطال الزمان، وحذرهم أن يكونوا كسابقيهم من الأمم، ممن ذم الله صنيعهم حين أعرضوا عن هداية كتبهم المنزلة، وبدلوا وغيروا، واشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً، فقست منهم القلوب، ووصمهم الله بالفسق، على سوء فعالهم، إمعاناً في التنفير من سلوك سبيلهم، قال تعالى: (ألم يأن للذين آمنوا، أن تخشع قلوبهم

---

(١) في ٣٠/٥/١٣٨٣ هـ.

لذكر الله وما نزل من الحق ، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل ، وطال عليهم الامد ، فقست قلوبهم ، وكثير منهم فاسقون) قال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله ـ بهذه الآية ـ إلا أربع سنين » . مع أن الدين كان طرياً في قلوبهم ، وكان الوازع قوياً في نفوسهم ، ورقيباً عليهم ، لا يسرعون إلى معصية ، بل ديدنهم الرغبة في الطاعة .

فكيف بالناس في أعقاب الزمن ، وقد بعدوا كثيراً عن عصر التنزيل ، وضعف فيهم الوازع الديني ، وأضحت العبادات المشروعة لهم رسوماً تؤدى ، دون أن تتأثر بها القلوب وتخشع ، فيكون لها الاثر المحمود في صقل النفوس ، واستصلاح فاسدها ، فالصلاة ـ مثلاً ـ من أبرز آثارها مباعدة المسلم عن الزلة ، وعصمته من التردي في مزالق الرذيلة ، كما قال تعالى : (إن الصلاةَ تنهى عن الفحشاء والمنكر) . ولكن الملاحظ في البعض من المسلمين أن لا أثر لهذه التزكية في نفسه ، تراه يجترىء على المعصية في إصرار وعناد ، ومباعدة عن التوبة ، أو يستمرىء الحرام في كسبه ، كمن يسارع في أكل الرشوة التي تفسد الضمائر ، وتخدش الدين ، أو يحتال على أكل الربا بما في ذلك فوائد ـ البنوك ـ الذي توعد الله عليه بأعظم عقوبة ، كما قال تعالى : (فإن لم تفعلوا)أي تذروا الربا (فأذنوا بحرب من الله ورسوله) أو يغش في البيع ويدلس ، ويحلف

على السلعة الأيمان الكاذبة لترويجها ، كل ذلك مما يشعر ان الصلاة لم تؤد ثمارها، لأن المصلي لم يأت بحقيقتها ، بل أتى بحركات من ركوع وسجود ، جرياً على العادة ، دون أن يستشعر فيها عظمة الباري جل وعلا ، فيخشع ويذل لعظمته ، ويتلذذ بمناجاته ، فلما فقد جوهر الصلاة فقد أثرها ، فلم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر ، وكذلك الصوم والحج ، وكل عبادة تعبد الله بها العباد ، لم يعد لها الأثر المطلوب في تزكية النفوس ، والارتفاع بها عن مجالات الإثم ومزالق الرذيلة لأنها أضحت شكليات لم تؤد على حقيقتها .

لذا كان العتاب الذي عاتب الله به صفوة الأمة في الماضي ، لايزال قائماً على الأمة في أعقاب الزمن، بل هو بالنسبة للخلف أعظم وجوباً وأكثر تطلباً ،وإن النهي الصريح في الآية الكريمة ،عن تقليد أهل الكتاب في انصرافهم عن العمل بالكتب السماوية ، وإعراضهم عن الحق ، واشتغالهم بالخسيس الأدنى ، حتى قست منهم القلوب ، ووصموا بالفسق، يجب أن يكون أكبر حافز للمسلم، لسلوك سبيل الهدى ، وتوثيق الصلة التي تربط العبد بالله ، ألا وهي الطاعة ، وأداء الشعائر الدينية على خير وجه ، لتؤدي الغرض الأسمى من شرعيتها ، وهو استصلاح النفوس وتزكيتها ، وتطهير القلوب واستقامتها ، وإذا لم يرفع المسلم بعتاب ربه رأساً ، ولم يحدث له العتاب تحولاً الى الخير ، وتقويماً وتهذيباً ، واستمر على طغيانه وعدوانه ، وانتهاكه لمحارم الله ، والعمل بمعصية الله ، فإن

له من وراء العتاب عقاباً شديداً مؤلماً ، سوف يلقاه جزاء عادلاً (ولا يظلم ربك أحداً) كما قال تعالى : (ومن يعص الله ورسوله ، ويتعد حدوده، يدخله ناراً خالداً فيها ، وله عذاب مهين) .

فاتقوا الله ياعباد الله ! وليكن لكم من عتاب الله على التفريط في جانب الله ، خير نذير من عذاب الله ، وخير حافز للانتفاع بالتذكرة ، وسلوك سبيل المتهدين من عباد الله ، الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، والذين أثنى عليهم في محكم الكتاب بقوله : (فبشر عباد ، الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله ولي النعيم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ! روي عن صاحب رسول الله ، شداد بن أوس رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : « إن أول مايرفع من الناس

الخشوع ، أي فتصبح عبادتهم آلية لا روح فيها ، ولا تستصلح فاسداً ، ولا يكون لها أثر في التقويم والتهذيب . فاحرصوا رحمكم الله على الخشوع في عبادتكم ، فهو المحور وعليه المعول .

٣٢ ـ لمناسبة ذكرى ولادة الرسول ﷺ (١)

الحمد لله أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، أحمده سبحانه له الملك واليه ترجعون ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادق المأمون ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

اما بعد ، فيا عباد الله ، إذا كان لأمة أن تفخر بمجد ، وان تعتز بفضل ، فان من حق الامة الاسلامية ان تفخر وتعتز بدينها ، الذي ألف الله به بين افرادها بعد الفرقة ، والذي أشرق على ربوع الدنيا فأشرق بإشراقه السلام ، ورفع كابوس الجبروت والظلام عن البشرية ، وضمن للناس به الحياة السعيدة الرغيدة ، ورضيه الله للعباد ، ديناً وصراطاً مستقيماً ، كما قال تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام ديناً) .

ومن حق الأمة الاسلامية ، أن تفخر وتعتز برسول الاسلام ،

---

(١) في ١١ / ٣ / ١٣٨٨ هـ

محمد بن عبد الله ﷺ فهو باني مجدها ، ورسول هدايتها ، وان تشكر الله على ولادته التي كانت للبشرية خيراً وبركة ، حيث أخرج الله به العباد من الظلمات الى النور ، وهدى به من الضلالة ، ووحد به الصفوف ، وكان كما وصفه رب العزة بقوله : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، عزيز عليه ماعنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رؤوف رحيم) .

وكان من رحمته ﷺ ان دعى الله سبحانه شفقة منه بأمته ، أن لايهلكها بعذاب الاستئصال ، كما أهلك الأمم السابقة ، بحيث لايبقى لها ذكر ، ولا يعرف لها أثر ، فاستجاب الله دعاءه ، فكانت أمته مرحومة من بين الأمم ، تعطى الجزيل من الأجر ، على القليل من العمل ويمحو الله سيئاتها بحسناتها ، كما قال تعالى : (إن الحسنات يذهبن السيئات) وقال تعالى : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجزي إلا مثلها ، وهم لايظلمون) .

هذا الرسول الأمين ، والبشير النذير ﷺ ، من حقه على الأمة ان تحبه محبة تفوق محبة الوالد لولده ، والولد لوالده ، ومحبة الناس أجمعين ، كما قال ﷺ : « لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين » .

ومن حقه على الأمة الاكثار من الصلاة والسلام عليه ، كما أمر الله سبحانه المؤمنين بذلك فقال : (إن الله وملائكته يصلون على النبي ، ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) وان تسأل الله له الوسيلة ، وهي درجة رفيعة في الجنة ،

كما قال ﷺ : « اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم سلوا الله لي الوسيلة » .

ومن حقه على الأمة طاعته واتباع أمره ، والسير على نهجه ، وخاصة في إقامة علم الجهاد ، فلقد جاهد في الله حق جهاده ، ولن يستقيم للأمة أمر الا بجهاد أعداء الله ، ولن تبلغ العزة التي كتبها الله للمؤمنين إلا بمقاومة الكافرين ، سواء كانوا صهاينة يغتصبون مقدسات الاسلام ، ويبتون الشر للمسلمين ، أم كانوا شيوعيين ومستعمرين .

ومن حقه على الأمة الايمان بأنه خاتم النبيين والمرسلين ، لانبي أو رسول بعده كما قال تعالى : (ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين) والايمان بأنه صاحب الشفاعة العظمى ، التي يتخلى عنها أولو العزم من الرسل ، فمحبة هذا الرسول ، والصلاة والسلام عليه ، قربة وطاعة ، والايمان به وأنه خاتم المرسلين ، والايقان بشفاعته للموحدين ، والسير على نهجه دين لايكمل إيمان العبد إلا به .

أما دعوى محبته ﷺ دون اتباع سنته ، والسير على نهجه ، والبعد مما حذر منه أمته ، فتلك دعوى لاتوصل صاحبها إلى مايرجوه من سعادة ، وإن مما حذر منه المصطفى ﷺ أن لاتخالف الأمة عن أمره ، كما قال ﷺ : « وإياكم ومحدثات الامور ، فان كل محدثة بدعة » . فكل سبيل تتجه اليه في

مناسبة مولده الشريف ، لم يكن في خير القرون فهو محدث ، يجب اطراحه ، وعدم الاخذ به ، وان كان مما تواضع عليه العرف ، واستحنه الناس ، فكل خير في اتباع من سلف ، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولهـــا .

فاتقوا الله عباد الله ، واعرفوا للاسلام حقه بالتمسك به ،فهو الدين الذي رضيه رب العزة لعباده ، لايزيـغ عنه إلا هالك ، وعظموا رسول الله ﷺ ، في انفسكم وبأقوالهم وافعالكم ، بالإيمان به ، ومحبته واتبـاع سنته ، وإقامة علم الجهاد ، سيراً على نهجه ، وعدم الابتداع في دينه ـ والصلاة والسلام عليه .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (يأيهـا النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً الى الله باذنه ، وسراجاً منيراً . وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلاً كبيراً) .

نفعني الله واياكم بهدي كتابه . أقول قولي هـذا ، واستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، انه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله ، يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحـده لا شريك له ، وأشهد أنـ سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صـاحب النهج القويم ، والخلق العظيم ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ! في عرض طويل لأحد العلماء ، يقول فيه : ما كان المسلمون الأولون يفكرون في تعيين زمن خاص ، يذكرون فيه الناس بعظمة الرسول ﷺ ، عن طريق الاحتفالات التي تقام ، والمقالات التي تكتب ، أو الأحاديث التي تذاع ، لأنهم كانوا يرون عظمته خالدة بكتابها، الذي يهدي الإنسان في الحيــاة إلى التي هي أقوم ، في تعبده ، وفي خلقه ، ونظم حياته ، ورابطته العائلية والانسانية ، وفي تضامنه مع إخوته ، وفي عمارة الدنيا ، وفي أمنها واستقرارها ، وكان ذكراها لديهم في ترسم خطاها ، وفتح قلوب النـاس لها ، تلك كانت ذكراهم لعظمة الرسول الكريم ﷺ .

٣٣ ـــ في الحث على مواساة الفقراء لمناسبة الشتاء

الحمد لله قديم الاحسان ، أحمده سبحانه ، وهو الكريم المنان ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، سيد الثقلين من إنس وجان ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أمـا بعد ، فيا عبـاد الله ، بذل المنفقـين ، وإحسان المحسنين ، وسيلة من وسائل الرضوان لرب العالمين ، وعامل لتحقيق وعد الرب الكريم ، بالخلـف على المنفقين ، ومحبته للمحسنين ، قال تعالى : (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ، وهو خير الرازقين) ، وقال تعالى : (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) .

ولقد ذكر الله المتقين في كتابه بكريم صفاتهم ، وجليل فعالهم ، وأوضح عظيم جزائهم ، فقال : (إن المتقين في جنات وعيون ، آخـذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين) .

وأنزل سبحانه الانفاق في سـبيله منزلة القرض الذي لا يتخلف أداؤه ، ترغيباً فيه وطلباً لمضاعفة أجره ، قال تعالى : (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له ، وله أجر كريم) .

وبالغ سبحانه في الحض على الانفاق ، حيث جعل الأمر به قريناً للأمـر بالايمان بالله ورسوله ، وأضاف إلى ذلك الوعد الكريم بالأجر الكبير فقال: (آمنوا بالله ورسوله ، وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا منـكم وأنفقوا لهم أجر كبير) .

بل لقد ذهب الاسلام إلى أبعد من الأمر بالانفاق ، فأوجب التكافل بين عموم أفراد المجتمع الاسلامي ، بحيث يتساند الجميع على رفع كابوس المحنة عن المعوزين ، وحمل ثقل الفقر عن المحتاجين ، يبدو ذلك واضحاً في قول الرسول الكريم ﷺ : « من كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له ، ومن كان له فضل ظهر - أي مركب - زائداً عن حاجته فليعد به على من لا ظهر له » .

وتبالغ التعاليم الاسلامية في كفالة المجتمع لفقرائه ، فتحمله مسؤوليـــة عظمى ، لو بات فقير طاوياً بين ممتلئين ، أو عارياً بين مكتسين ، يقول

رسول الله ﷺ : « أيما أهل عرصة ـ أي ساحة دار ـ أصبح فيهم امرؤ جائعاً فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى » . والعري ـ يا عباد الله ـ أخو الجوع ، بل لقد يستر الفقير جوعه عن الناس ، ولكنه لا يتمكن من ستر ثيابه البالية .

وإن الشتاء ـ يا عباد الله ـ قد مد رواقه ، والشتاء يرهق الكاسب ، ويفتن الكاسد ، فالكاسب تتضاعف عليه النفقة في الشتاء ، فكيف بالكاسد المعدم ، وما أكثر المعدمين في ثياب المتعففين !! إنهم كما وصفهم رسول الهدى ﷺ بقوله : « ليس المسكين بهذا الطواف ، الذي ترده التمرة والتمرتان ، واللقمة واللقمتان ، ولكن المسكين الذي لا يجد غني يغنيه ، ولا يفطن له فيتصدق عليه ، ولا يسأل الناس شيئاً » . يؤيده قول العليم الخبير : (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف) ، أي : يحسبهم الجاهل بحالهم أنهم أغنياء لتعففهم وعدم سؤالهم .

ومن هذا الصنف ، الأرملة التي تضم أيتاماً لا عائل لهم ، ولا تستطيع الكسب فتنفق عليهم ، ومنهم الشيخ الكبير ، وهن منه العظم ، وليس لديه مال يستعين به في هرمه ، أو ولد بار يسعفه في شيخوخته ، ومنهم العاطل الذي كسدت صناعته ، والعاجز الذي أقعدته عن الكسب زمانته ، وصاحب المورد الضئيل الذي لا يقوم مورده بسد نفقات من يعول ، كل أولئك يا عباد الله في حاجة إلى التخفيف من متاعبهم ، ومد يد العون إليهم على الدوام ، وفي

هذا الشتاء خاصة ، إما يداً بيد كصدقة سر ، لا تعلم شمال المنفق ما أنفقت يمينه ، أو عن طريق الأيدي التي توصل الخير إلى المعدمين الكاسدين، دون منٍ على فقير ، أو أذى في المواساة والاحسان .

فاتقوا الله عباد الله ، وأنفقوا مما رزقكم الله ، واذكروا في هذا الشتاء إخواناً لكم في الله ، عضهم الفقر ، وأثقلت كواهلهم متاعب الحياة ، واسوهم بالقليل من أموالكم ، ولا يحقرن أحدكم من المعروف شيئاً ، واسعفوهم بالعيش الرخي ، والثوب الرضي، وكونوا لهم عوناً في الشدة ، وعضداً في المحنة ، فالله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : (وأنفقوا مما رزقناكم ، من قبل أن يأتي أحدكم الموت ، فيقول : رب لولا أخرتني إلى أجل قريب ، فأصدق وأكن من الصالحين ، ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها ، والله خبير بما تعملون) .

نفعني الله واياكم بهدي كتابه ، أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، انه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله المتفضل على عباده بجزيل النعم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، خير خلق الله من

عرب ومن عجم ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، سأل رسول الله ﷺ مرة أصحابه فقال: « أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟» قالوا : يارسول الله ، ما منا أحد إلا ماله أحب إليه ، قال : « فإن ماله ما قدم ، ومال وارثه ما أخر » ،

وفي هذا التوجيه النبوي الكريم ، ما يحفز إلى البذل ، والانفاق في أوجه الخير ، وإعانة المعدمين ، فأحسنوا يا عباد الله إن الله يحب المحسنين .

٣٤ ــ في الحث على الجهاد
لمناسبة إقامة إسرائيل عرضاً عسكرياً في القدس

الحمد لله ، شرع الجهاد لحماية حوزة الاسلام ، أحمده سبحانه جعل النصر لحزبه ، فأعظم بتأييد الملك العلام ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، سيد الأنام ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، عندما يستشري الشر ويطغى الفساد ، لا مندوحة للمسلم عن أن يدرأ الشر ، ويقمع طغيان الفساد بكل وسيلة ، ولذلك شرع

الجهاد ، ورفعت أعلامه خفاقة إلى قيام الساعة . كما قال تعالى : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله) .

وإن أعظم شر استشرى ، وفساد امتد طغيانه ، شر اليهود ، وطغيانهم في الأرض المقدسة ، قبلة المسلمين الأولى ، ومسرى سيد الثقلين ﷺ ، فلقد داسوا فيه بأقدامهم كل أثر للاسلام ، وغيروا المعالم ، وبلغ من طغيانهم ورجسهم تلويث الأرض المقدسة بحشد جنودهم فيها ، وإقامة عرض عسكري عليها ، إظهاراً لقوتهم ، وإمعاناً في فرض سلطتهم ، فبكت الأرض المقدسة غربة الاسلام ، وضياع المسلمين لحوزتها ، وسكوتهم على تثبيت أقدام اليهود فيها ، وتلويث قدسيتها ، والتباهي بعزتهم المزعومة ، والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، والذلة والمسكنة وغضب الله قد كتب على اليهود أعداء الله ، كما قال تعالى : (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا ، إلا بحبل من الله وحبل من الناس ، وباؤوا بغضب من الله ، وضربت عليهم المسكنة ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) .

يريد اليهود بهذا العمل الاستفزازي أن يقيموا لهم عزة ، يبدلون بها كلام الله في ضرب الذلة والمسكنة عليهم ، وهيهات أن يرتفع لمن أذله الله ذكر ، أو يكون له مجد ، أو يستبدل الذلة والمسكنة بالعزة والصولة .

إن حوادث التاريخ لتصور واقع الذلة التي كتبها الله عليهم ، والتي كان منها

في صـدر الاسلام إجلاء بني قينقـاع وبني النضير من جوار النبي الكريم في أبشـع صور الذلة ، ونزول بني قريظة على حكم الله ورسوله ، فقضى عليهم رسول الله وألبسهم ثوب الذلة ضافياً ، وكم لهم من مواقف الذلة التي كتبها الله عليهم مما يقوي عزائم المسلمين على جهادهم واستئصال شأفتهم ، وتطهير الأرض المقدسة من رجسهم (قاتلوهم ، يعذبهم الله بأيديكم ، ويخزهم وينصركم عليهم ، ويشف صدور قوم مؤمنين) .

إن المحاولة الفاشلة لليهود في إقامة عرضهم وإظهار صولتهم ، هي اختبار ، يختبر الله به المؤمنين في مقاومتهم لليهود ، وصدق عزيمتهم ، ويقينهم بنصر الله لهم ، وصبرهم على جهادهم ، بعد أن ابتلى الله المسلمين بالنكبة على أيدي اليهود ، وكانت الفترة بين المعركتين لاستصلاح أمر المسلمين ، ورجوعهم إلى ربهم ، وتمحيص ذنوبهم ، ورفع درجات المخلصين منهم ، كما قال تعالى لسلفهم إذ منوا بالهزيمة في قتال عدوهم : (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ، إن كنتم مؤمنين ، إن يمسسكم قرح ، فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الأيام نداولها بين الناس ، وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء ، والله لا يحب الظالمين ، وليمحص الله الذين آمنوا ، ويمحق الكافرين ، أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ، ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) .

لقد دقت ساعة الخطر ـ يا عباد الله ـ ، وبلغ الشر مداه، فلم يبق في القوس

منزع ، ولم يعد للصبر وضبط الأعصاب مجال ، على أمل تسوية سلمية ، فتاريخ اليهود سلسلة إجرام ، لا يعرف السلم ، فالبدار البدار عباد الله إلى الجهاد إلى خوض معركة الاسلام !! لتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، إلى الاستشهاد في سبيل الله ! إلى الجنة ، فإن الجنة يستروح روحها المجاهدون من وراء خط النار ، ومن بين قصف القنابل (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ، بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) .

أين الشباب ، شباب الاسلام في كل مكان ؟ هذا يومكم ، فهبوا لقتال أعدائكم ، والدفاع عن مقدساتكم ، فلقد أعز الله الاسلام في الماضي بالشباب ، أمثال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، ورضي عنه ، وشهيدي المعركة : حمزة ومصعب بن عمير رضي الله عنهما ، فسيروا على الدرب رحمكم الله ، فإما حياة العز والنصر والشرف والكرامة ، وإما موت الشهداء ، والشهداء عند ربهم يرزقون ، ولا يرهبنكم العدو بعدده وعدته وعتاده (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون) : (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا) فيؤيدهم بروح منه ويقوي عزيمتهم في النضال (وأن الكافرين لا مولى لهم) .

فاتقوا الله عباد الله ، واعقدوا العزم على الجهاد ، بل نفذوا الفكرة

واخطوا الخطوة الايجابية، فليس بعد هذا الطغيان لاسرائيل من طغيان،وليس بعد إصرارها على لطمة المسلمين ، والتوسع في الوطن الاسلامي من عدوان.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، أعظم درجة عند الله ، وأولئك هم الفائزون ، يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان ، وجنات لهم فيها نعيم مقيم ، خالدين فيها أبداً ، إن الله عنده أجر عظيم) .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ،ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله يتولى الصالحين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، سيد الأولين والآخرين ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، خرج رسول الله ﷺ يوم بدر على أصحابه ، وهو يقول : « والذي نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل ، فيقتل صابراً محتسباً ، مقبلاً غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة » . فقال رجل من الأنصار : ما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ؟! ثم ألقى بتمرات في يده وقاتل حتى قتل رضي الله عنه .

وإن المسلمين لفي حاجة إلى مثل هذا اليقين ، وهذا التصميم في مواجهتهم لاسرائيل ، في حاجة لالقاء الترف ، ومقابلة العدوان في شظف ، فإن في الجنة ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، من نعيم ومتاع لا يبلى ولا يبيد .

٣٥ — في الحث على صيام عاشوراء

الحمد لله واسع العطاء والجود ، أحمده سبحانه ، وهو الرب العظيم المعبود وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صاحب المقام المحمود ، والحوض المورود ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، مناسبتان عظيمتان ، لهما في نفوس المسلمين فرحة وبهجة :

المناسبة الأولى : مناسبة إشراق شمس الشهر الحرام محرم، وهو مطلع عام جديد ، وبداية مرحلة من مراحل العمر ، يغتبط بها المرء ، إذ أمد الله له في الأجل ، ويسأله صادقاً مخلصاً أن يكون حظه في العام الجديد خيراً من ماضيه ليكرس الجهود للباقيات الصالحات(والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً) ، وخير العباد من طال عمره وحسن عمله .

والامداد في الأجل ـ يا عباد الله ـ فرصة لاستصلاح أغلاط الماضي ، وللتحول إلى مناهج الخير ، ووسيلة للغفران والرضوان ، كما قال تعالى : (وإني لغفار لمن تاب وآمن ، وعمل صالحاً ، ثم اهتدى) .

وإن خير بداية للمسلم ـ في عامه الجديد ـ وأفضل خطوة يخطوها في الشهر الحرام محرم ، أن يشتغل بصومه ، فالصوم ذروة في الأعمال الصالحة وترويض على كبح جماح النفس ، تجاه كل شهوة ونزوة طائشة ، وفيه مزيد من الجزاء الذي يفوق الحصر : « الصوم لي وأنا أجزي به » ، فإذا وقع الصوم في شهر حرام اقترن الفضل بالفضل ، فضل الصوم ، وفضل الزمان ، مما يكون للعبد به أكرم جزاء ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم .

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله الذي تدعونه المحرم » .

ولئن صرفت العباد الشواغل ، وقعدت بهم الأعذار عن بلوغ هذا الفضل وصوم شهر المحرم أو بعضه ، فلترتفع الهمم لصوم أبرز يوم فيه ، إنه يوم عاشوراء ، وهو اليوم العاشر منه ، يوم نصر الحق على الباطل ، فلقد نجى الله رسوله موسى ومن معه على الحق والهدى ، وأغرق فرعون ومن تابعه على الباطل ، فكان عبرة لكل طاغية ، يفسد في الأرض بعد إصلاحها ، ويصد عن سبيل الله السوي ، فصام موسى عليه السلام هذا اليوم شكراً لله ، وصامه

المصطفى ﷺ ، وتصومه الأمة بعده ، استشعاراً لنصر الحق على الباطل ، وشكراً لله ، واقتداءاً بسيد الأنام ﷺ ، ولقد قال عن أثر صومه وفضله : « صيام يوم عاشوراء احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله » .

وإنه - يا عباد الله - لفضل سابغ يحرص عليه أرباب الهمم العالية من المؤمنين ، وإن من القدوة في صومه صيام يوم قبله أو يوم بعده .

أما المناسبة العظيمة الثانية ، فمناسبة ذكرى الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة فمناسبة ذكراها تتجدد للمسلمين في مطلع كل عام هجري، وتذكرهم بالواجب عليهم نحو معركة المصير ، ضد خصوم الاسلام ، في كل زمان .

لم تكن الهجرة لسيد الأنام هرباً من واقع الظلم والطغيان، فرسول الهدى ﷺ هو المثل الرفيع للشخصية الفذة التي لا تتضعضع أمام الخطوب ، بل كانت الهجرة للانطلاق بالدين ، ووضع التصميم الحازم الجازم لمقاومة المعتدين ، ورفع راية الاسلام خفاقة لتنشر الاسلام الذي كتب الله له الظهور ، فلا يصح أن يبقى على نطاق ضيق .

إنها - يا عباد الله - مرحلة كفاح جديد، وذكرى للتضحية والصبر والتفاني في سبيل الحق والواجب ، فهي بهذا الاعتبار درس ماثل للأجيال ، لتسير عليه ، فتكسب النصر ، فالنصر لا يوهب إلا لمن أخذ بأسبابه ، مهما كان مبدؤه سليماً ، ونهجه مستقيماً .

وكانت الهجرة أيضاً ، لبناء قاعدة للدولة الاسلامية ، ولتنظيم المجتمع الصالح الرشيد ، والحفاظ على مقومات الشخصية الاسلامية ، من الانهيار أمام سطوة الباطل ، والعمل على تطبيق دستور السماء ، لإشاعة الأمن وضمان الرخاء والاستقرار في الأرض ، فلولا الاذن في الهجرة ، لم يكن شيء من ذلك ، ولم يكن للمسلمين كيان ، وثمة هجرة هي بالنسبة لكل مسلم ومسلمة في الماضي والحاضر والمستقبل ، هي برهان على صحة الإسلام ، وصدق الاستسلام ، أوضح واقعها رسول الهدى ﷺ بقوله : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر مانهى الله عنه » .

فاتقوا الله عباد الله ، وليكن لكم من مستهل عامكم الجديد بداية طيبة ، بالإقبال على الطاعة ، وفي الطليعة صيام يوم عاشوراء ، فصيامه كسب عظيم ، واذكروا في ذكرى هجرة سيد الأنام المثل الرفيعة ، التي ضربها للأمة في الكفاح ، والصبر والاحتمال ، والتضحية في الحق ، لتشقوا الطريق بها إلى حياة العزة ، وخاصة بعد النكسة المؤلمة ، وغلبة اليهود على مقدسات الإسلام ، فالكفاح والصبر والتضحية التي رسمها رسول الهدى بالهجرة ، أفضل طريق لحياة العزة ، واستخلاص المقدسات الاسلامية .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا ، واتقوا الله لعلكم تفلحون) .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه . أقول قولي هذا ، واستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، انه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، الداعي إلى صراط الله ورضوانه ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، كم في الهجرة من دروس للأمة ، كم لها في الهجرة من أمجاد بلغت بها الذروة ، إذ كانت الهجرة انتفاضة حطمت الأغلال ، وبددت سحب الباطل ، ووضعت المعالم لرواد الطريق ، ليمضوا في السير ، ويستحثوا الخطى ، حتى يصلوا إلى الغاية ، فيحمدوا السُّرى ، كم في الهجرة مَن عبر وعظات ترسمها الآية الكريمة : (إلا تنصروه فقد نصره الله ، إذ أخرجه الذين كفروا ، ثاني اثنين ، إذ هما في الغار ، إذ يقول لصاحبه : لا تحزن إن الله معنا ! فأنزل الله سكينته عليه ، وأيده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا ، والله عزيز حكيم) ألا فلنمجد ـ عباد الله ـ الذكرى بالسير على نهج الهدى ، الذي رسمه صاحب الهجرة ﷺ فذلك سبيل أرباب النهى .

٣٦ - في الحث على تزكية النفس وأخذها بالفضائل

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد، فيا عباد الله! أرأيتم الطفل كيف يشب على الخلق الكريم، والنهج القويم، لو تعهده القيم بالتوجيه والتقويم؟، وعلى العكس لو أهمل أمره، وتركه في مهب الرياح، إنه ينشأ شريراً، خطراً على نفسه ومجتمعه!، ذلكم - ياعباد الله - أبرز مثل للنفس، حين يكون المرء رقيباً عليها، يزكيها ويهذبها، ويأخذ بها إلى الفضائل، ويتجافى بها عن المهابط والرذائل، ولقد ارتفع الله بأرباب النهى، الذين يأخذون بأنفسهم إلى مشارف الفضيلة، ويتحامون بها السقوط في مهاوى الرذيلة، وعدهم من المفلحين حيث يقول: (ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها)، زكاها بالفضائل، أو دنسها بالمعاصي والرذائل.

وإن لتزكية النفس مجالات واسعة المدى، لا تقصر على أمثال معينة، فمنها تزكيتها بطلب العلم النافع. ومن طبيعة العلم النافع إذا أشرقت به جوانب

النفس أن يصقل جوهرها، ويباعد بينها وبين الإسفاف والمآخذ، ذلك لأن العلم نور يشع أمام السالكين، فيبصرهم بمواطن الخطل والزلل، لكيلا يقعوا في المزالق، أو ينحرفوا عن الجادة، كما قال تعالى: (أَو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس، كمن مثله في الظلمات، ليس بخارج منها).

ومن عوامل تزكية النفس أيضاً: الاقتداء بنهج الراشدين وترسم خطى الصالحين، وهم بحمد الله أمثال تقوم بهم الحجة على الناس في كل زمان ومكان ولن تعدم الأمة الخيرين من أبنائها، الذين يستمطر بهم الغيث، وتستنزل بهم الرحمات، فبالقدوة بهم تزكو النفوس، وإذا كان رب العزة قد أمر رسوله المصطفى - وهو المثل الكامل في البشرية - أن يتخذ من سلفه المرسلين القدوة، وقال له مخاطباً: (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) أفلا يجدر بمن يرغب في صلاح نفسه وتزكيتها أن يقتدي بأولي العلم والحجى، والصالحين الفضلاء، في رسم خط السير في هذه الحياة الدنيا، المليئة بالفتن الصاخبة اللاهية ليسير في مأمن من العثار، ويصل إلى أكرم غاية وأشرف نهاية؟!

وفي غير هذين المثلين يجد المتعشق للخير عوامل لتزكية نفسه، ووسائل لصقل جوهره، فإذا لم يقم بمحاولات في سبيل الاصلاح النفسي، فإن الإسلام لم يترك لمحتضنه الحبل على الغارب، أو يتركه شارداً في المهامه، ضالاً عن سواء السبيل، بل يأخذ بعنانه رحمة به ويرده إلى الجادة - عن طريق الزواجر

والأخذ على يديه ، حين تزل بـه القدم ، فيتزكى ويتطهر ، ويتقوم المعوج من أمره ، ويعود إلى حظيرة الأوابين ، ويلحق بركب الصالحين وصدق الله إذ يقول : (ولكم في القصاص حياة ، ياأولي الألباب لعلكم تتقون) حياة للمنحرف عن سواء السبيل باستصلاحه ، وحياة للمجموع باشاعة الأمن والطمأنينة بينه ، من كل من يتبع العوج أو يفسد في الأرض ، بأي لون من ألوان الفساد ؛ فيـا لعظمة الإسلام ! ! ، وياالسمو أهدافه ! ! .

فاتقوا الله عباد الله ، وابتغوا بتزكية أنفسكم الفلاح والصلاح ؛ وحـذار من تدنيسها بالمعاصي ، والهبوط بها عن مشارف الفضيلة ؛ فذلك شأن من اتبع هواه ، وكان أمره فرطاً ، كما قال تعالى محـذراً من ذلك متوعـداً : (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عـذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب . فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله الرقيب الحسيب ، وأشهد ان لا إله إلا الله وحـده لاشريك لـه ، وأشهـد ان سيدنا محمداً عبـده ورسوله ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فياعباد الله ؛ إن من عوامل تقويم النفوس وتزكيتها ؛ أن يكون المجتمع رقيباً على الأفراد ؛ يستصلح ما فرط منهم ؛ ويقوم ما اعوج من مسالكهم ، وتلك هي الخيرية التي ارتفعت اليها الأمة المحمدية ، وأثنى الله بها عليها ، إذ يقول :(كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله) ؛ فخذوا عباد الله بمناهج الخيرين ؛ يستقم مجتمعكم ؛ وتصلوا إلى ما وصل اليه سلفكم .

٣٧ ـ في الحث على مبدئين عظيمين من مبادىء الاسلام (١)

الحمد لله المعزّ لمن والاه ، أحمده سبحانه لا إله غيره ولا رب سواه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، بلّغ رسالة ربه ، وهدى الناس بهداه ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ! في دنيا المبادىء يضع الإسلام لمحتضنيه مبدئين عظيمين ، من شأنهما أن يشدا على الروابط بين المسلمين ، ويحفظا وحدتهم ، ويصونا كرامتهم .

المبدأ الأول ؛ أفصح عنه رسول الهدى ﷺ ، بقوله : « من لا يهتم بأمر

---

(١) في ١٣٨٥/٦/٢٧ هـ

المسلمين فليس منهم » . والاهتمام بأمر المسلمين ـ يا عباد الله ـ لا يعني المظهر دون المخبر ، ولا يكفي فيه إبداء الشعور الطيب ، دون خطوات إيجابية ، تعبر عن الاهتمام الفعلي . وبعبارة أصرح : لا يكفي من المسلم مجرد التألم والأسى ، وسكب الدمع مدراراً على ما ينزل بالمسلمين من البلوى ، بل من واجبه أن يرفع الصوت عالياً ، مستنكراً الجرائم التي تنزل باخوانه ، أو بحمل السلاح إلى جانبهم ، أو يمدهم بالمال ، إسهاماً في رفع كابوس المحنة عنهم ، حتى يعود الحق إلى نصابه ، وحتى يشعر الأخ المسلم المنكوب ان الى جواره من إخوانه من يشد أزره ، ويرعى فيه حق أخوة الإسلام ، ويحقق بالعمل قول سيد الأنام ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » . وإذا كان الشعور الطيب لا يكفي في تصوير اهتمام المسلم بأخيه ، فكيف بمن يعرض عن نصرته وهو قادر ؟! وكيف بمن يقف موقف المتفرج من الكوارث تنزل باخوانه ثم لا يكون منه انتفاضة أو أي محاولة لرد الطغيان ، وكف العدوان ؟ ! أفلا يكون مؤاخذاً على تبلد إحساسه ، داخلاً في زمرة من عناهم المصطفى ﷺ بقوله : « لا يقفن أحدكم موقفاً يضرب فيه رجل ظلماً فإن اللعنة تنزل من حضره حين لم يدفعوا عنه » ؟! والضرب ـ يا عباد الله ـ مثل لجميع ألوان الارهاب والتعذيب ، يشمل كل الوسائل التي يعمد اليها الانسان لتعذيب الانسان .

المبدأ الثاني : الذي وجه اليه الاسلام اتباعه ، هو أن لا يقبل المسلم الذلة والهوان ، وأن لا يعيش في الأرض ، وهو خليفة الله فيها ، منكس الرأس مستعبداً للغير ، وقد وصله الله بمعيته كما قال تعالى : (وان الله مع المؤمنين) وارتفع بمقامه ، وجعل له العزة في العالمين كما قال تعالى : (ولا تهنوا ولا تحزنوا ، وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) . (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) وجعل رزقه وأجله بيده ، لئلا يطأطىء رأسه لمخلوق ، كي يصله برفده ، أو يرتفع براتبه ورتبته ، قال تعالى (فابتغوا عند الله الرزق ، واعبدوه واشكروا له) وقال تعالى : (إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وما الناس - في الواقع - إلا وسائط لإيصال ما قدر للعبد في دنياه من الرزق ، أو الجاه أو المنصب ، أو غير ذلك من أمور الدنيا ، لن يفرغ أجل عبد إلا وقد استوفى ما قدر له فيها كما جاء في الحديث : « إن روح القدس ألقى في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستوفى رزقها وأجلها » فمن رضي بالذل بعد أن أعزه الله ، واستعبد لغير الله ، وأقام على الضيم ينزل به ، فهو ممن عناهم رسول الهدى ﷺ بقوله : «من رضي الذلة من نفسه طائعاً غير مكره فليس منا » .

فاتقوا الله عباد الله ، وخذوا بكل مبدأ رسمه الاسلام ، أخلصوا الولاء للإخاء الاسلامي ، وابتغوا العزة التي كتبها الله للمؤمنين ، تكونوا من أولي الألباب ، الذين امتدحهم الله في محكم الكتاب ، بحصافة عقلهم ، وسداد

مسلكهم فقال : (فبشّر عبادِ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه . أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، انه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله العزيز في سلطانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، لقد وصف الله سبحانه رسول الهدى وصحابته الكرام ، بخير وصف ، يجب أن يحتذى فقال : (محمد رسول الله ، والذين معه ، أشداء على الكفار ، رحماء بينهم) ودخل صحابي على عظيم من عظماء الفرس في الفتوحات الاسلامية فقال له : ما جاء بكم الينا ؟ فرد عليه الصحابي بملء فيه ، مظهراً العزة دون رهبة : «ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام » فخذوا عباد الله بمناهج الهدى يستقم أمركم ، وتنالوا عزاً لا يرام .

٣٨ ـ في الحث على الأخذ بأسباب القوة

الحمد لله كتب للمؤمنين العزة ، أحمده سبحانه ، يؤيد دينه ، وينصر حزبه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، بعثه الله للعالمين هدى ورحمة ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ! إن من عوامل السعادة والحياة الطيبة ، حياة العزة ، التي كتبها للمؤمنين ، الأخذ بأسباب القوة من عتاد وعدة ، ومن تدريب على النضال ، ودراسة للعلوم والفنون ، التي تكسب الخبرة في لقاء العدو ، وتحديد الأهداف وغير ذلك ، مما يعتبر استجابة لأمر الله في إعداد العدة لخصوم الاسلام ، كما قال تعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) ويكون وسيلة لإحراز النصر في معركة الحق مع الباطل ، ما دام في الدنيا كفر وإيمان يتصاولان ، وما بقي في الدنيا حزب للرحمن ، وحزب للشيطان ، إذ لا تكون الحياة طيبة في دنيا الناس إلا إذا غدا المسلمون أقوياء في حوزتهم ، آمنين في سربهم ، أوصياء على الخلق ، يخرجونهم من عبادة العباد إلى عبادة الله ، كما أمر الله إذ يقول : (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا ، واعبدوا ربكم ، وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ، وجاهدوا في الله حق جهاده) .

فاذا فترت عزائم المسلمين عن هذا الواجب ، ولم يعالجوا أسباب القوة ، وتركوا الجهاد ، إخلاداً للراحة ، أضحى لهم في كل يوم نكبة ، وغدوا يطلبون النجدة ، ويلتمسون النصرة ، ولا سميع ولا مجيب ، ذلك لأن الزمام قد أفلت من أيدي المسلمين ، إذ أضحوا في أعقاب الزمن كما وصفهم رسول الهدى ﷺ بقوله : « غثاء كغثاء السيل » .

وكانت غاية الاكثرين في دنياهم كما قال رب العزة في وصف واقعهم : (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين ، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، والخيل المسومة ، والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا ، والله عنده حسن المآب) .

أو كمن دأبه إثارة الفتن والشرور بين الناس ، وديدنه الافساد بكل ألوان الفساد ، ومع ذلك يزعم الإصلاح في قول معسول ، كما أخبر الله عن وصفه إذ يقول : (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ، ويشهد الله على ما في قلبه ، وهو ألد الخصام ، وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ، ويهلك الحرث والنسل ، والله لايحب الفساد) .

وليس الإسلام - ياعباد الله - من هؤلاء في شيء ، ليس الاسلام ترفاً ورخاوة وطراوة ، ومتعة أو لذة عابرة ، أو حشداً للثروة ، وجمعاً للحطام ، وتكاثراً بالأموال والأولاد ، وليس الإسلام زعماً للإصلاح ، وأقوالا

معسولة خداعة ، تبطن الغدر والخديعة والمكر ، ولكن الاسلام دين ودولة ، ومصحف وسيف ، وماإليه من وسـائل القوة ، ومحراب وميدان للجهاد في سبيل الله ، وكل أولئك اذا اقترن بالإيمان فهو عمل صالح ، تتحقق به للمسلمين الحياة الطيبة ، في الدنيا حيث تكون لهم العزة ، والصولة والدولة . وتتحقق به الحياة الطيبة في الأخرى ، حيث يتقلبون في النعيم المقيم كما قـال تعالى : (وماأموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ، إلا من آمن وعمـل صالحاً ، فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون) .

فاتقوا الله ياعباد الله ، وخذوا بأسباب القوة ، تتحقق لكم الحياة الطيبة ، في العاجلة والآجلة ، وتفوزوا برضاه الله .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ، ونجعلهم أئمة ، ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم في الأرض) .

نفعني الله واياكم بهدي كتابه . أقول قولي هذا ، واستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله المعز لمن استجاب لأمره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .

أما بعد ، فيا عباد الله ، وعد الله المصلحين من عباده باستقامة أمرهم ، ونجاتهم من الهلاك فقال: (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) وإن من دروب الاصلاح : الأخذ بأسباب القوة ، لتبقى راية الاسلام خفاقة منصورة ، وفي الأخذ بأسباب القوة يتنافس المصلحون .

٣٩ ـ في الحث على اقام الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف [1]

الحمد لله يزيد من ينصر دينه عزاً وسلطاناً، أحمده سبحانه وصف المؤمنين، بأنهم (إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً) وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، دعا الناس إلى أقوم سبيل سراً واعلاناً ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، آية كريمة في كتاب الله، وفي معناها آيات ،يستشعر منها المسلم مسؤولية عظمى، ملقاة على عاتقه في هذه الدار، إن قام بهذه المسؤولية كانت له العزة والغلبة ، وحقق الله له الوعد بالسيادة والقيادة ، فكان علماً خفاقاً تحت الشمس ، ونجماً متألقاً في دنيا الناس . قال تعالى : (الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ،وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور) .

---

(١) في ١٠ / ٨ / ١٣٨٥

ولقد حقق الله هذا الوعد لسلف الأمة رضوان الله عليهم ، عندما حققوا لله ما أراد ، فوثقوا صلتهم بالله بإقام الصلاة ، كان أحدهم ينسى الدنيا بما فيها من متعة ولذة ، حين يقف مكبراً بين يدي الله للصلاة ، لأنه يدرك ان الله أجل وأعظم من أن يصرفه صارف عن مناجاته ، أو يأخذ بقلبه أي تفكير أو شاغل في صلاته ، لقد أصيب أحدهم بمرض يتطلب بتر رجله فقيل : دعوه حتى يدخل الصلاة ، ثم افعلوا ماشئتم ! !

أما ايتاؤهم للزكاة ، فكان عن سخاء وطيب نفس ، ، إذ كانوا يرون أن في اداء الزكاة نماء المال وبركة ، وتطهيراً وتزكية للنفوس ، كما قال تعالى : (خذ من أموالهم ، صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) بالاضافة إلى شعورهم بأثرها الطيب في إيجاد تكافل إسلامي ، يربط بين القلوب ، ويوثق الصلة بين المجموع ، أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فحسبهم برهاناً على إقامة أعلامه ، اشادة الله بهم ، والثناء عليهم في محكم كتابه إذ يقول : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله) .

لقد كان أحدهم لايخشى في الله لومة لائم ، حين يقوم المعوج ، ويقول لأكبر شخصية في الدولة : اتق الله !! ويقول أيضاً بملء فيه : لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا ! وضرب الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه المثل الرائع في تطامنه للحق ، إذا أعلن وهو على المنبر خطأه وقال :

أصابت امرأة وأخطأ عمر !! وكذلك كانت المجتمعات الاسلامية في القرون المفضلة ، ترفع معالم الأمر بالمعروف ، فلا تدع مجالاً لمن يبتغي العوج في سبيل الله، لقد أضحوا أساتذة العالم ، ورواد الطريق ، فهل للخلف أن يحتذوا حذوهم ليصلوا الحاضر بالماضي ، ويحتفظوا بتحقيق وعد الله لهم في التمكين في الأرض ، فهو وعد مشروط ، من قال بشرطه في أي زمان ومكان حقق الله له الوعد الكريم ، كما قال تعالى : (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز) .

لقد مضى على المسلمين حين من الدهر ، وهم مستضعفون في الأرض ، يستبد بهم أعداؤهم ، ويسومونهم الخسف ، فأين وعد الله لهم في الحاضر كما كان في الماضي ؟ ! . أين العلو والاستخلاف لهم في الأرض ، وهيمنة الاسلام على سائر الأديان ؟! الواقع الذي لا مرية فيه أن المسلمين في الحاضر غيرهم في الماضي ، إذ لم يقوموا بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم ، من إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، ورفع منار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ففي المسلمين اليوم من يرى في الصلاة رجعية ، لا يصح أن يقوم بها التقدميون في القرن العشرين ، وفي المسلمين اليوم من يرى في الزكاة ضريبة مزعجة ، ليس لها من مبرر ، وهو الذي اكتسب المال بكده وجده ، وفي المسلمين اليوم من يرى في إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مصادرة

للحرية ، وحداً من الانطلاقة ، وفي المسلمين اليوم بدع مضلة ، وقوانين وأنظمة هي المرجع دون كتاب الله ، وإليها التحاكم ، وعليها المعول في رسم خط السير ، دون هدى .

فهل لهذا الخليط ممن يزعم الاسلام أن يحتج على الله ؟ وأن يطلب تحقيق نصر ، أو يأمل علواً في الأرض ، كما كان للأسلاف في عصور الهداية ؟ !

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ واذكروا على الدوام قول رب العزة : (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) . فإذا أقلع المسلمون عن الغي إلى الهدى ، واستمسكوا بالعروة الوثقى ، وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، أحسن الله لهم العقبي ، وأبدلهم من الذل عزة ، ومن الضعف قوة وظهوراً ، كما قال تعالى : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ، ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً) .

نفعني الله واياكم بهدي كتابه . أقول قولي هـذا ، واستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله كتب العزة للمؤمنين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، سيد الأولين والآخرين ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، إن الظفر بالعزة ليس حلماً معسولاً ، إنما هو الهدف الأسمى للمسلم ، يتطلب تضحيات جسيمة ، وفي طليعتها جهاد النفس في ذات الله ، وقسرها على القيام بفرائض الله ، وعدم التهيب من قمع الفساد والمفسدين، ابتغاء مرضاة الله ، وبكل ذلك ـ مجتمعاً ـ يظفر المسلمون بالعزة ويصلون إلى أرفع غاية .

٤٠ ــ في الحث على صيام رمضان وبيان فضله[١]

الحمد لله جعل صوم رمضان أحد أركان الاسلام ، أحمده سبحانه ، وهو المعبود في كل زمان ومكان ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، خير من صلى وصام، وقام لعبادة الواحد الديان ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

اما بعد ، فيا عباد الله ، نفحات الرب جل جلاله ، تبدو ضافية شاملة منذ

---

(١) في ١٣٨٥/٩/٢ هـ

أن تُشرق على ربوع الاسلام شمس رمضان المبارك ، فأوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار ، ومن أجل ذلك تغمر المسلمين الفرحة ، استبشاراً بشهر الصيام ، الشهر الذي اختصه الله بنزول القرآن ، فيه الهدى والنور والفرقان ، ومن أجل ذلك أيضاً يحتفي المسلمون بشهر القرآن ويكون لهم فيه أعظم تنافس في الباقيات الصالحات ، كمظهر للشكر على منة نزول القرآن ، ولكي يربحوا المغنم بعد أن قامت في رمضان سوق التجارة الرابحة ، فأضعف الناس همة وأعظمهم خسارة من لم ينتهز الفرصة للربح في التجارة .

ألا تستمعون ـ عباد الله ـ إلى وصف المصطفى ﷺ لفضل رمضان ، ونفحات الله العظيمة المتعددة في رمضان ، حيث يقول : « أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه ، فينزل الرحمة ، ويحط الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء ، ينظر إلى تنافسكم فيه ، ويباهي بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيراً ، فالشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل ». وإنما كان شقياً من حرم في رمضان رحمة الله تعالى ، لأن أسباب الرحمة في رمضان من الكثرة بحيث لا يحصرها بيان ، يعطي الله فيه كثيراً من الأجر فيه على القليل من العمل ، فتفطير الصائمين ولو باليسير كالتمر ، ومذقة اللبن ، وشربة الماء ، يغفر الله بها الذنب ، ويعتق بها الرقاب من النار ، وهل للمسلم من غاية أرفع من الغفران ، والعتق من جحيم النيران ؟!

ثم إن لعبادة الصوم مزايا عدا الإعداد للتقوى التي هي في الطليعة من مزاياه وحكمه ، مزايا من بينها التدرب على الصبر ، والحياة بدون صبر اضطراب وحيرة وقلق ، فمن صبر عن شهوته المحببة إليه ، وفطم نفسه عنها أمداً طويلاً ، طاعة لله ، كان الصبر له خلقاً ، كلما نزلت به نازلة في حياته ، والدنيا دار بلاء ومحنة ، ولذلك ارتفع الله بأجر الصابرين ، وقال :(إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) وفي طليعة الصابرين الصائمون .

وعلى العكس منهم من تبرم بالصوم ، واستثقل ظل رمضان ، ومضى على عادته في استدامة العصيان ، وأقدم على الفطر في رمضان لأتفه سبب، أو لمجرد العظمة ، وعدم التقيد بشريعة الملك الديان ، استهتاراً بالوعيد الصارخ ، الوارد على لسان المصطفى ﷺ إذ يقول : « من أفطر يوماً من رمضان في غير رخصة رخصها الله ، لم يقض عنه صيام الدهر إن صامه » . أو يعمد إلى الفطر اعتماداً على فتوى هزيلة ، ممن يزعم التحرر في الفتوى ، والظهور بهذا المظهر ، فيفتي بالفطر لألم الرأس ، وقلع الضرس ، وللوعكة العابرة التي لا يزيدها الصوم مضاعفة ، أو لضعف الانتاج في الصيام ، أو لغير ذلك مما يتخذه البعض ذريعة للفطر .

وإن فريضة الله يا عباد الله لا تسقط بحال ، إلا لأهل الأعذار المشروعة من مريض يتضرر بالصوم ، أو مسافر مباشر للسفر ، أو حائض ونفساء ، أو

حامل ، أو مرضع ، كل أولئك يباح لهم الفطر مع القضاء ، أما الرجل المسن الذي لا يقوى على الصيام ، ومثله المرأة في وضعه ، والمريض الذي لا يرجى برؤه ، فعن هؤلاء يسقط الصوم ، ويكفيهم أن يطعموا عن كل يوم مسكيناً .

فاتقوا الله عباد الله ، وعظموا الشهر المبارك رمضان ، بالصيام والقيام والتنافس في صالح الأعمال ، فقد صح عن سيد الأنام أنه قال : « من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ماتقدم من ذنبه ، ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ، كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، أياماً معدودات ، فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ، فمن تطوع خيراً فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون ، شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة ، ولتكبروا الله على ما هداكم ، ولعلكم تشكرون ، وإذا سألك عبادي عني فإني قريب ، أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لي ، وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه . أقول قولي هذا ، واستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، انه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله ، ولي المتقين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، سيد الأولين والآخرين ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، جاء في الحديث عن الصادق المصدوق ﷺ في حديث طويل انه قال : « فاستكثروا فيه - أي في رمضان - من أربع خصال : خصلتين ترضون بهما ربكم ، وخصلتين لا غناء لكم عنهما ، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة ان لا إله إلا الله ، والاستغفار ، وأما الخصلتان اللتان لا غناء لكم عنهما فتسألون الله الجنة ، وتستعيذون به من النار » فعالجوا رحمكم الله كل أبواب الخير في شهر الخير ، تكونوا من المفلحين .

٤١ ـ في ايضاح الصيام الزاكي وأجره

الحمد لله معين الصابرين ، أحمده سبحانه يعطي الجزاء الضافي للمحسنين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، سيد الأولين والآخرين ، اللهم صل وسلم عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، أمل الصائمين في كريم الجزاء ، كأمل الأجير في فيض العطاء ، كلاهما يأمل خيراً ، غير أن تضحية الصائم وجهده الذي يبذله في الصيام ، لا ترتقي اليه تضحية أي عامل ، ولذلك ارتفع الله بأجر الصائمين إلى درجة تفضل العد وتفوق الحصر ، لأنهم عاملوا الله وضحوا بأفضل متعة ، امتثالاً لأمر الله ، فكان الجزاء من الباري عظيماً ، كما كان العمل منهم كريماً ، يفصح عن ذلك الحديث القدسي : « كل عمل ابن آدم له ، الحسنة بعشر أمثالها ـ أي يضاعف له ـ إلى سبعمائة ضعف ، قال الله عز وجل : إلا الصيام فإنه لي ، وأنا أجزي به ، إنه ترك شهوته وطعامه من أجلي » . وأي طعام وشراب أو متعة تعدل فضل الله الذي يسبغه على الصائمين عند الفطر ، وعند لقاء الرب الكريم تعظم لهم به الفرحة ، فالفرحة عند الفطر للقبول والغفران ، كما جاء في الحديث « إن للصائم عند فطره دعوة لا ترد » .

وما أكثر ما يدعو الصائمون بالقبول والغفران ، والفرحة عنـد لقاء الملك الديان ، للأمن من الفزع الأكبر ، وللشرب الروي في ظلال الجنة والمتعة الدائمة ، ولقول الله لهم فيما يروى عنه : «ياأوليائي ، طالما نظرت اليكم في الدنيا، وقد قلصت شفاهكم عـن الأشربة ، وغارت أعينكم ، وجفت بطونكم ، كونوا اليوم في نعيم ، وتعاطوا الكأس بينكم ، كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية » ، وصدق الرسول الكريم إذ يقول : « للصائم فرحتان : فرحة عنـد فطره ، وفرحة عند لقاء ربه » .

وإنما ينعم بهذا الجزاء الضافي ، ويظفر بالفرحتين ، من ارتفع بصومه عن الهفوات والسقطات ، وصانه عـن النزوات والموبقـات ، فليس كل من كف عن الشهوتين بصائم ، يطمـع في جزاء الصائمين ، حتى يضيف إلى ذلك صوم المشاعر والجوارح ، فللعين صيام ، للسمع صيام ، وللسان صيام ، ولكل جارحة في العبد صيام ، فصوم العين كفهـا عن النظرة المحرمـة في كل سبيل ، وصوم السمع عدم الاصغاء إلى ما لا يحل سماعه من الكذب والغيبـة والوقيعة في الناس ، وصوم اللسان حجزه عـن الآثام ، كالفحش في القول وكالسباب والشتائم ، التي كثيراً ما ينزلق اليها البعض لضيق الصـدر ، أو للتبرم بالصوم ، وفي طليعة ذلك السعي بالنميمة ، واغتياب الناس ، والتعرض لمثالبهم ، وقول الزور ، وشهادة الزور ، كل ذلك وغيره مما يعتبر مزلقـة ، تفسـد على الصائم

صومه ، أو تخدشه وتحرمه أجره ، يجب على الصائم أن يصوم عنه ، أملاً في الظفر بجزاء الصائمين .

الا فاستمعوا عباد الله إلى قول الرسول الكريم حيث يقول : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » ولقوله : « ليس الصيام من الطعام والشراب ، إنما الصيام من اللغو والرفث » ولقوله : « رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش ، ورب قائم حظه من قيامه السهر » .

وكم أعيدت هذه الأحاديث النبوية على الأسماع ، للأخذ بإشعاع هدايتها ، غير أن الواقع المؤلم انها غدت لدى البعض كالكلمة العابرة ، تمر دون ان تجد لها آذاناً صاغية ، أو قلوباً واعية ، وكأنها لم تكن من توجيهات المصطفى ﷺ ، التي يجب أن يأخذ بها المسلم حتماً ، كجزء من أجزاء الدين ، فلا يزال في الناس من يكذب في صومه ، ويحلف اليمين الفاجرة ، وينم ويغتاب ، ويستمع في ولع إلى الفنان فلان ، وإلى أغنية علان ، وكل هؤلاء يزعم أنه صائم ، وانه يحترم رمضان ، وفي الليل عندما يشتغل الصالحون باحياء الليل في طاعة الله ، تجد الكثير من اللاهين يقبل على اللهو واللعب ، والاستماع إلى التهريج ، فأين من هؤلاء استشعار حرمة رمضان ؟ ! .

إن رمضان ـ يا عباد الله ـ هو فرصة العمر ، فيجب أن لا تفلت هذه

الفرصة دون كسب يدخره المرء لعقباه ، وإلا كان محروماً في شهر الخير من الخير ، ومحروماً يوم الفرحة الكبرى حين يفرح الصائمون بفيض الجزاء ، وخذوا العبرة ـ عباد الله ـ ممن طوته اللحود ، وكان بينكم في رمضان الماضي ، مضى إلى ما قدم ، وبقيتم على الأثر ، تسيرون على الدرب ، فمن اغتنم الفرصة انه لسعيد، فاتقوا الله عباد الله ، واحرصوا كل الحرص على الارتفاع بصومكم عن الآثام ، لتفوزوا بالاجر الضافي ، الذي عبّر عنه الحديث القدسي : « الصوم لي وأنا أجزي به » .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ، جزاء بما كانوا يعملون) .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ،ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، خير من صام وقام لعبادة ربه ، يدعوه ويناجيه ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، جاء من قول الصحابي الجليل جابر بن عبد الله

رضي الله عنهما قوله : « إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم ، ودع أذى الجار ، وليكن عليك وقار وسكينة ، يوم صومك ، ولاتجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء» . فاحتذوا عباد الله حذو الصالحين ، وخذوا بمناهج المتقين تكونوا من المفلحين .

٤٢ ـ في الحث على الوحدة واخلاص التوحيد

الحمد لله ألف بين القلوب بوحدة الاسلام ، أحمده سبحانه جعل التوحيد مدخلاً للوصول إلى دار السلام ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمداً عبده ورسوله ، وضع أسس الوحدة ، وأقام للتوحيد مناراً بين الأنام ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، الوحدة والتوحيد رباط وثيق لا تنفصم عراه ، ولا تنفك عقدته ، فالوحدة أشبه بصرح شامخ متماسك ، لن يوهنه ضرب المعاول ، أو يفتت أوصاله هبوب الأعاصير ، فهو أبداً صلب منيع ، والتوحيد مدخل لهذا البناء وسلّمه ، فلا يرتقي أحد إلى البناء إلا عن طريق مدخله ومصعده ، وما البناء الشامخ ـ يا عباد الله ـ سوى الإسلام ، الذي جمع الله بتعاليمه بين القاصي والداني ، والابيض والأسود ، والعرب والعجم ، وأوقف

السادة إلى جانب العبيد صفاً واحداً متآلفاً ، لا متخالفاً ولا متنافراً ، كما قال تعالى : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .

والتوحيد ـ هو الكلمة التي دخل بها المسلمون في دين الله أفواجاً ، كلمة الاخلاص (لا إله إلا الله) كما قال تعالى : (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) .

ولقد درج المسلمون في عصورهم الذهبية في ظلال الوحدة والتوحيد ، إخوة متحابين ، وأولياء متصافين ، لا ينزع الأخ من يد أخيه أو يعرض عنه وينأى بجانبه ، وهو في حاجة إلى عونه ونصرته ، والوقوف إلى جانبه ، ظهيراً له ، مستهدين في ذلك بهدي القرآن ، في وصف واقع المؤمنين ، وحسن ولائهم ، وصدق إخائهم ، كما قال رب العزة : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) ومستشعرين لوحي سيد الأنام إذ يقول : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » فدانت لهم الدنيا ، وكانوا فيها السادة والقادة ، وأخرجوا من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الاسلام ، وأضحوا كما وصفهم رب العزة ـ خير أمة أخرجت للناس .

ولئن كان هذا واقع المسلمين في أزهى عصورهم ، فإن المسلمين في أعقاب الزمن ، وقد تتالت عليهم الفتن ، هم في أمس الحاجة إلى إشادة مجتمعاتهم ، وبناء صرح جامعتهم ، على الأمثلة الرفيعة الرشيدة ، التي ضربها السلف في التماسك والتضامن ، فالمسلمون في مختلف أقطارهم وأمصارهم ، في محنة وخطر محدق بهم ، خطر السياسة المرسومة من خصوم الاسلام ، لتفريق كلمتهم ، وتمزيق شملهم ، والحيلولة دون تضامنهم ، لئلا يكونوا حرباً عليهم ويداً مسالمة تمتد اليهم ، وترتبط بعجلتهم ، وتسخر لإرادتهم ، فتورد الهاوية ، ويحمل المسلمون على الارتداد عن دينهم ، بمختلف ألوان الإغراء ، ثم يجهزون عليهم ، وصدق الله إذ يقول : (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) .

يقول بعض علماء الاسلام توعية للمجموعة الاسلامية : ان الهجوم الصليبي والهجوم الصهيوني الذي جاء في أذياله لم ينجحا في ضعضعة الدولة الاسلامية ، إلا عقب أن مهدا لذلك بتقسيم المسلمين شيعاً منحلة واهنة ، ودويلات متدابرة ، يثور بينها النزاع ، وتتسع شقة الخلاف لغير سبب . وهو قول أصاب قائله المحزّ ، فإن الغريب الدخيل ، لا يستطيع أن يدخل الحصن المنيع ، يعيث فيه فساداً . إلا بعد أن ينخر في جوانبه ، ليحدث له ثغرة يدخل منها ، لذلك كان المسلمون في حاضرهم في أشد الحاجة إلى تضامن اسلامي ، كتضامن سلفهم ، ليقطعوا الطريق على أعدائهم ، وفي أمس الحاجة إلى وحدة

تجمع شتاتهم ، وتؤلف بين صفوفهم التي مزقها خصوم الإسلام ، بدسائسهم وأساليبهم الخاصة .

هـــذا إلى جانب الاخلاص في توحيد الله جل جلاله ، وتخليصه من الشوائب والزيف ، وعندئذ وحين يستظل المسلمون بظل الوحدة والتوحيد ويصبح التضامن الاسلامي واقعاً ملموساً ، لا قولاً معسولاً ، وخيالاً يداعب الأذهان ، حينئذ لا يضر المسلمين زمجرة العاصفة ، من أي اتجاه تهب عليهم ، ولا يؤثر في تضامنهم انقسام من ينشق عليهم ، ومصداق ذلك قول رسول الاسلام والسلام ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين ، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم ، حتى تقوم الساعة » .

فاتقوا الله عباد الله ، وليكن لكم من تخطيط سلفكم الأمجاد خير أسوة ، في الاستظلال بظل الوحدة والتوحيد ، فبالتوحيد والوحدة عزّ الدنيـــا ، وصلاح الدين ، وما أروع الدين والدنيا إذا اجتمعا معاً .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته اخوانا) .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه . أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله يعز أولياءه المتحابين فيه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وضع أسس الوحدة الاسلامية ، وأقام للتوحيد مناراً ، يجاهد فيه ويدعو إليه ،اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد،فيا عباد الله!إنأبرز ظاهرة توحي بالترابط بين الوحدة والتوحيد اتجاه المسلمين إلى الله في صلواتهم ، يدعونه بحرارة وإيمان ، قائلين : (إياك نعبدوإياك نستعين ، إهدنا الصراط المستقيم) فالعبادة له وحده دون سواه هي لباب التوحيد وجوهره،والهداية إلى صراط اللهالمستقيم مطلب رفيع ، في طليعته استقامة الجماعة على الوحدة، ونبذ التفرقة، فأخلصوا ـ ياعباد الله ـ لله في التوحيد ، واعملوا جاهدين لإقامة صرح الوحدة ،والتجافي عن التفرق ، تكونوا من المفلحين .

٤٣ ـ في التوحيد للقيام بحمل الأمانة

الحمد لله خلق الانسان لغاية عظمى ، أحمده سبحانه وأشكره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، وحبيبه المصطفى ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، إن من تكريم الله للانسان ، أن خلق أبا البشر

آدم بيديه، وأسجد له ملائكته ، وجعله خليفة في الأرض ، وكتب له ولذريته السيادة ، والقيادة في الوجود ، وسخر له ما في السموات وما في الأرض لمصلحته ، كما قال تعالى : (الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم ، وسخر لكم الفلك ، لتجري في البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار ، وآتاكم من كل ماسألتموه ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) . ولم يكن هذا التكريم والرعاية للانسان الا لغرض أسمى ، وغاية عظمى ، إنها حمل الأمانة التي تخلف عن حملها السموات والأرض والجبال ، فلم يطقن حملها ، وأشفقن منها ، وحملها الانسان في عزيمة ، والتزم ما تفرضه عليه من واجبات وكفالات في قوة ، معتمداً على عون الله ومدده ، كما قال تعالى : (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال ، فأبين أن يحملنها ، وأشفقن منها ، وحملها الإنسان) .

والأمانة هي فرائض الله التي فرضها على العباد ، والتكاليف والأوامر والنواهي ، كما قال تعالى : (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً ؟) أي لا تؤمرون ولا تنهون ، وشرط حمل الأمانة الثواب على الإحسان ، والعقاب على الإساءة والعصيان ، حملها آدم عليه السلام ـ وكان من ذريته ـ الأنبياء والرسل ، وصالحوا العباد ، وكل جلد صبور على طاعة الله .

فحققوا الغاية التي أرادها الله من خلق الانسان ، وأشرقت الدنيا بتوحيد الله وطاعته ، بعد أن غشيتها غاشية الشرك والطغيان ، وكان من ذريته أيضاً من انحرف عن الطريق ، ولم يدرك عقله هذه الغاية التي خلق من أجلها ، فوصفه الله بالظلم والجهل كما قال تعالى : (انه كان ظلوماً جهولاً) ، ووصفه بالظلم حين لم يقدر الله حق قدره ، وعصاه وهو في قبضته ، ووصفه بالجهل حين غفل عن العقاب الذي يترتب على عصيانه وطغيانه . قال بعض المفسرين : تجد الذين غلبهم الظلم والجهل خانوا ونافقوا وأشركوا ، فحق عليهم العقاب ، ولم تكتب التوبة إلا لأهل الإيمان والأمانة ، ولذلك قال تعالى : (ليعذب الله المنافقين والمنافقات ، والمشركين والمشركات ، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات ، وكان الله غفوراً رحيماً) .

وإن من الامانة على هذا المعنى : حفظ الجوارح التي ائتمن الله العبد عليها ، وجعلها مسيرة بأمره ، فالأعين الخائنة التي تمتد إلى النظرات المحرمة ، والأيدي الباطشة التي تسفك الدم الحرام ، أو تسطو على خلق الله بالتعذيب ، والأقدام التي تسير إلى تحقيق النزوات والشهوات المنحرفة ، والألسن التي تنطق بقرض أعراض الناس ، والتنادر بمثالبهم ، وكل جارحة يستعملها العبد في غير طاعة الله ، تشهد عليه يوم القيامة ، بسوء ما عمل ، وهو من الفريق الذي ذمه الله ، إذ لم يحقق الغاية من خلقه ، ولم يقدر الله حق قدره .

ومن الأمانة في مدلولها الواسع ، حفظ الودائع ، فمن فساد الزمن في أعقاب الزمن ، حجد الودائع لضعف الايمان ، أو لانتزاعه من القلوب ، كما جاء في حديث الصحابي الجليل حذيفة رضي الله عنه في حديث طويل قال : قال رسول الله ﷺ : « فأصبح الناس يتبايعون ، لا يكاد أحد يؤدي الأمانة، حتى يقال : إن في بني فلان رجلا أميناً ، وحتى يقال للرجل ـ أي في مدحه ـ : ما أطرفه ! ، ما أعقله ، وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان » .

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ وقوموا بواجب الأمانة التي حملتموها ، سواء كانت فرائض وطاعات في مختلف دروبها أو أوامر ونواهي ألزمكم الله بالقيام بها ، أو ودائع اؤتمنتم عليها ، لتحققوا بذلك الغاية من خلق الانسان ، والحكمة من جعله خليفة الله في الأرض ، له القيادة والسيادة .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ، ليبلوكم فيما أتاكم) .

نفعني الله واياكم بهدي كتابه ، أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، انه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي خلق فسوى ، والذي قدر فهدى ، وأشهد أن لا إله إلا الله

وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالبينات والهدى ، اللهم صل وسلم من عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، تستجمع الأمانة في مدلولها الشامل ، كل أمر يناط بالمرء القيام به ، وكل التزام مشروع يفرض عليه ، فان لم يقم بالواجب ، وكان ممن وصمه الله بالظلم والجهل ، وبئس الظلم والجهل من وصمة ، فإن له أسوأ العواقب .

٤٤ ـ الكمال النفسي والسمو الروحي

الحمد لله الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى ، أحمده سبحانه له الأسماء الحسنى والصفات العلا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، ان للكمال النفسي ، وللسموّ الروحي ، الذي يوصل إلى دار السلام ، دعامات لا يستقيم إلا بهـا ، أجملها رسول الهدى ﷺ في حديث واحد ، توجيهاً للانظار اليها ، وليحاول كل فرد في المجموعة الاسلامية أن يأخذ بها ، ليحرز السعادة بحذافيرها ، فقال : « من أكل طيباً وعمل في سنّة وأمن النـاس بوائقه دخل الجنة » . وليس أكل الطيب ـ يا عباد الله ـ يعني

الألطاف والرقائق ، من لذيذ الطعام والشراب ، وإنما هو أرفع من هذه المتعة وأكرم غاية ، إنه يا عباد الله : طيب الكسب ، والترفع عن الحرام في مختلف دروبه ، فيجتنب المسلم الرشوة وأكل الربا والغش والتدليس والسرقة ، وغير ذلك مما يدخل في حدود الكسب الحرام ، ويشمله الوعيد الصارخ في قرآن يتلى كما قال تعالى : (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل،وتدلوا بها إلى الحكام).

وكل كسب حرام لا يبارك للعبد فيه ، وقد يكون وبالاً عليه ، فيبتلى بما يفقده التمتع به ، يبتلى بالجوائح والأمراض في نفسه أو أهله وولده ، فأي متعة بمال مع هذه المنغصات ، التي تكون نهايتها القبر ، وناهيك بالقبر وما بعد القبر من مناقشة الحساب ، كما جاء في الحديث : « يُسأل العبد عن ماله ممّ اكتسبه وفيم أنفقه ، ومن سقط في دور الاختبار أنّى له بالجائزة في دار القرار ؟! .

الدعامة الثانية : مما يوصل إلى الجنة العمل في سُنَّة ، أي التجافي عن البدع في الدين ، والعمل بسنة سيد المرسلين ، ذلك لأن الدين هو رصيد العبد الذي يعتد به ليوم الشدة ، عندما يسأل على مدى استجابته لهدي الرسول الكريم كما قال تعالى : (ويوم يناديهم فيقول : ماذا أجبتم المرسلين ؟) فان كان ممن اتبع الهدى الذي جاء به المصطفى ﷺ ، ولم تتشعب به السبل ، نجح في دور الاختيار ، وكان من أهل شفاعة خير الورى ﷺ ، وإن كان ممن بدل وغيّر ، وانحرف عن الجادة ، يذاد عن الحوض الروي ، حوض المصطفى ، الذي من

شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً ، ويقـــال لنبي الهدى : « إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فيقول : سحقاً لهم وبعداً » فقاعدة العبـادة أخذ القدوة كما قال تعالى : (لقد كان لـكم في رسول الله أسوة حسنة) وقال تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتّبعوني ، يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ، والله غفور رحيم) .

الدعامة الثالثة : مما يوصل إلى الجنة أن يكون المسلم سلماً لاخوانه ، لا حرباً عليهم ، وأن يضع يده في أيديهم ، متضامناً ومتعاوناً معهم على الخير ، لا أن يشذ عن صفوفهم متجنياً عليهم ، مشهّراً بهم ، مستغلاً سلطانه لو كان له سلطان عليهم ، في التنكيل بهم ، وتنويع الأساليب في تعذيبهم تشفياً وانتقاماً ، وظلماً وعدواناً ، والمسلم - يا عباد الله - من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمن الناس بوائقه ، كما جاء في الحديث عن رسول الهدى ﷺ أنه قال : « والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يأمن النـاس بوائقه ، قالوا يا رسول الله : وما بوائقه ؟ قال : « غشمه وظلمه » . والغشم والظلم يشمل كل تجن على المسلم بأي وسيلة ، وكل استباحة لدمه أو ماله أو عرضه .

فكل المسلم - يا عباد الله - حرام ، دمه وماله وعرضه ، ويجب أن تكون من المسلمين انتفاضة لتغيير الظلم ، قياماً بواجب الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، الذي فرضه الله على كل مسلم بحسبه ، فالمسلمون جسد واحد ، في كل

بقاع الدنيا ، والجسد الواحد يتألم لكل جزء فيه ، أما التخاذل وعدم الانتصار للاخ المسلم ، بأي لون من الانتصار ، فهو ظاهرة فشل مزر ، حاربه الاسلام وتوعّد عليه ، حيث يقول رسول السلام ﷺ : « لا يقفنّ أحدكم موقفاً يُضرب فيه رجل ظلماً ، فان اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه » .

فاتقوا الله عباد الله ، وأقيموا دعائم المجتمع الاسلامي ، على القواعد التي رسمها رسول الهدى ﷺ ، للكمال النفسي ، والسمو الروحي ، تصلوا إلى أكرم غاية إلى الجنة دار السلام ، واذكروا على الدوام قول سيد الأنام : « من أكل طيباً وعمل في سنة ، وأمن الناس بوائقه دخل الجنة » .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : (يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، إنه لكم عدو مبين) .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه ، أقول قولي هذا ، واستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وحبيبه المصطفى ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، لئن تعددت مسالك الناس ، ومناهجهم في هذه

الحياة ، والكل يزعم أنه على نهج الهدى ، فإن خير المسالك ، وأرفع المناهج ، نهج المصطفى ﷺ ، كيف وقد بعثه الله رحمة للعالمين ، وقال موجهاً الانظار إلى طريقته المثلى : (وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم) ؛ فحذار عباد الله من الحَيْدةِ عن نهج من لا ينطق عن الهوى ، واستجيبوا لإرشاده وتوجيهه ، ففيه السعادة يا أرباب النهى .

٤٥ ـ في الحث على التضامن الاسلامي

الحمد لله يهدي من يشاء برحمته ، ويضل من يشاء بعدله ، أحمده سبحانه على نعمائه . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، رفع من شأن التضامن في الاسلام ، وشجع عليه بقوله وفعله ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، إن المجتمع الاسلامي ، الصالح الراشد المسدد ، هو المجتمع الذي يتخذ من إشعاع الوحيين دستوراً يطبقه بكل دقة ، سواء ما يتصل بحقوق الخالق في الطاعة وإخلاص العبادة أو ما يتصل بحقوق المخلوق من الاعتصام والتضامن ، ونبذ الفرقة ، كما جاء في الحديث النبوي الشريف توجيهاً للأمة إلى ما فيه رضوان الله جل جلاله ، يقول رسول الله ﷺ : « إن الله يرضى لكم ثلاثاً : أن تعبدوه ولاتشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم » .

فعبادة الله ونفي الشريك عنه تفرض أن يتجه المسلم إلى ربه وحده رغبة اليه ، وتعلقاً به وإجلالاً ، وحباً له وحباً لمن يحبه ، بحيث يغدو الحب في الله فوق كل حب لغيره ، يحب المؤمنين المتآخين في دينه ، ويشد أزرهم ويتضامن معهم ، قال تعالى : (إنما المؤمنون إخوة) وهذه الأخوة التي رفع الله من شأنها ، وبارك فيها ، ليست مجرد قول وانتساب ودعوى ، وإنما هي تضحية ، ومساندة ، وشد على الروابط ، يصورها سيد الأنام بقوله : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » .

ثم التوجيه إلى الاعتصام بحبل الله ، وهو دينه ، يفرض نبذَ الفرقة ، ويوجه الأنظار إلى تضامن جماعي ، في دائرة أوسع ، لتقوم الأمة الاسلامية في وحدة متماسكة ، لا تعرف الانفصال ولاالتخالف ولاالتخاذل والتنازع والتدابر ، تجمع الشمل المبعثر ، وتربط القاضي بالداني ، وتقمع العصبيات والنداءات بدعوى الجاهلية ، التي قال عنها رسول السلام : « دعوها فإنها منتنة » . وتحارب الإلحاد السافر ، وتحد من سلطان المبادىء الهدامة التي تناهض الإسلام .

أجل هذا التضامن الجماعي الإسلامي ـ ياعباد الله ـ يفرض على الأمة مزيداً من الجهود للإصلاح في أروع ذروة ، ولم يكن في واقعه وليد اليوم ، أو فكرة الساعة ، وإنما هو مبدأ إسلامي ، جاء به محمد بن عبد الله ﷺ ، قبل أربعة

عشر قرناً ، فهو إذن جزء من العقيدة ، فإذا عمل به الخلف انتهاجاً لنهج السلف واتحد المسلمون للوقوف أمام الزحف الاستعماري ، وخلصوا ديار الاسلام بما في ذلك ـ فلسطين ـ من نير أعداء الاسلام لن يضيرهم من خالفهم أو خذلهم، وإنهم لهم المنصورون ، وإن حزب الله المتضامن هم الغالبون ، ومصداق ذلك ما جاء في الحديث الشريف : « لاتزال طائفة من أمتي على الحـــق ظاهرين ، لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم ، حتى يأتي أمر الله » .

إن القافلة ـ ياعباد الله ـ يجب أن تسير حتماً إلى الامـام ، لكسب الوقت في دائرة للتضامن الاسلامي ، لا تقف عند حـد ، فكل فرد أو جماعة ، وكل دولة إسلامية أو منظمة ، يجب أن تمـد يدها بالتعاون ، لتتسع أبعاد التضامن الاسلامي ، ويمتد رواقه ، وكل عالم أو كاتب في كل قطر أو مصر ، من واجبه أن يجرد قلبه للتوعية ، وشرح مقاصـــد التضامن الإسلامي وأغراضه ، وضروراته للمسلمين ، وأنه لا يعني غير جمع الكلمة ، وتحقيق العدالة ، فإن فعل العلماء وحملة الأقلام ذلك فقد قاموا بواجب النصيحة المفروضة عليهم شرعاً ؛ والنصيحـة من صميم الدين كما جاء في الحديث : « الدين نصيحة » ، قلنا : لمـن يا رسول الله ؟ قال : « لله ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم » .

أمـا إن طال الصمت ، ولم يقم الرواد بحملة التوعية والتبصير للمجموع ، فإن كل عدو للاسلام سوف يستغل هذا الصمت ، ويعمل جاهداً للدس

والوقيعة بين المسلمين ، ويضع عوامل الهدم لتمزيق الصفوف ، وإذهاب ريح الجماعة : (ولا تنازعوا فتفشلوا ، وتذهب ريحكم ، واصبروا ، إن الله مع الصابرين) .

إن المسلمين ـ يا عباد الله ـ إذا لم يجتمعوا على الحق فرقهم الباطل ، وإذا لم يتضامنوا على جمع الكلمة ، ونصر دين الله ، مزقهم الأعداء ، وكان لهم معهم في كل يوم معركة ، مستغلين انقسامهم وتفرقهم ، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية ، ثم في الحديث النبوي آنف الذكر توجيه لمناصحة من ولاه الله أمر المسلمين ، ويفرض ذلك تذكيره وتوجيهه للخير ، والتعاون معه على حمل المسؤولية التي تقلدها ، فبصلاحه صلاح الرعية ، وبتوجيهه إلى الخير ضمان الانسجام ، والاستقرار وأمن الدولة .

فاتقوا الله عباد الله ، وخذوا بكل مبادىء الدين وتعاليمه ، سواء ما كان منها محض تعبد ، يختص بحقوق الخالق ، أو كان حفاظاً على الجامعة الاسلامية وقياماً بواجب التضامن ، وحسن الإخاء ، وصدق الولاء ، وحذار من الفرقة واختلاف الكلمة ، مستجيبين لرب العزة إذ يقول : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه . أقول قولي هذا ، واستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، انه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانيـة

الحمد لله يتولى الصالحين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، جمع الله به الشمل ، وأرسله رحمة للعالمين اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد، فيا عباد الله ، نقل عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قوله : « عليكم بالجماعة ، فإنها حبل الله الذي أمر به ، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة ، خير مما تحبون في الفرقة » .

فاستجيبوا ـ عباد الله ـ لتوجيه سلف الأمة في الأخذ بالتضامن الاسلامي وجمع الكلمة ، ونبذ الفرقة ، يستقم مجتمعكم ، وتكونوا قذى في عيون أعدائكم .

٤٦ — في التوجيه إلى بعض ثمار الحج

الحمد لله فرض على عباده الحج إلى بيته الحرام ، أحمده سبحانه حيث جعله أحد أركان الاسلام ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، جدد معالم الحنيفية ، وأقام منار العدل بين الأنام ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، بلد المقدسات، ومتنزل الرحمات ، وملتقى الحجيج

مكة ، البلد الذي حرمه الله وحمى حماه ، وأضفى عليه الأمن ، وجعل فيه بيته لاقامة شعائر دينه ، كما قال تعالى : (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمناً) .

هذا البلد الأمين يلتقي فيه الأخ بأخيه ، فيكون وإياه أعظم رابطة وثقها الاسلام ، إنها رابطة الإخاء في الدين، الذي تذوب فيه كل الفوارق ، وتضمحل الشخصيات ، فلا يشمخ الشريف بشرفه على أخيه ، ولا يتعالى زعيم بزعامته ، هنا في جوار البيت الحرام حين يلتقي الأخوة في وحدة متماسكة ، لا يكون شعارهم غير التوحيد الذي يرمز إليه هذا البيت ، ولا يكون شغلهم الشاغل غير عبادة الله ، تأثراً لخطى إمام الحنفاء خليل الله ، الذي أمره الله برفع قواعد هذا البيت على توحيد الله ، كما قال تعالى : (وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ، أن لا تشرك بي شيئاً ، وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ، وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً ، وعلى كل ضامر ، يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم) .

فكل تجمعات الدنيا ، مهما بلغت في سمو الأهداف ، لن تبلغ هدف هذا الاجتماع الشامل ، المترابط المتآخي المتضامن في أهدافه وآماله ، وكل من وفد إلى هذه الرحاب واحتضنه هذا الاجتماع ، أو هذا المؤتمر الاسلامي ، فمن حقه أن يسهم فيه ، وأن يسعى جاهداً لتحقيق أهدافه في مختلف مطالبها ، وتنوع

مقاصدها ، ليجني من منافع الحج بقدر إسهامه في نجاح مؤتمره ، وليعود إلى بلده وقد عمل لدنياه وآخرته ، عمل لدنياه بالتضامن مع إخوانه ، في إحراز الكسب للمجموعة الاسلامية ، يرفع من مكانتها ، ويطلب لها العزة والتمكين والخلافة في الأرض تحقيقاً لوعد الله لها ، كما قال تعالى : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ، ليستخلفنهم في الأرض ، كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً) وعمل لآخرته في حجه ، بإحراز رصيد عظيم من الأجر ، لقاء إخلاصه في عبادة ربه ، واشتغاله بطاعته ، وتأدية المناسك ، كما جاء في الحديث : « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » .

وكم للحج من ثمار حميدة ، تربط الدنيا بالدين ، ويستقيم بها أمر المسلمين .

فاتقوا الله عباد الله ، واغتنموا فرصة هذه الزيارة المباركة ، لحج بيت الله، حققوا فيها أهداف الاسلام ، واجهدوا النفوس فيها لاغتنام المكاسب ، سواء ما كان منها قرباً وطاعات تعود على العبد بربح عظيم ، أو كان تضامناً وتكتلاً لصالح المجموعة الاسلامية ، ورفع نير الظلم والطغيان عنها من أعداء الاسلام ، إنكم إن فعلتم ذلك ظفرتم بالمغفرة والرضوان ، ودخلتم الجنة بسلام .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا ، واعبدوا ربكم ، وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ، وجاهدوا في الله حق جهاده).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، ولسائر المسلمين من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله المعبود في كل زمان ومكان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد، فيا عباد الله! صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من حج فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه». وحسب الحاج كسباً أن تمحص له الذنوب، ويحظى بالغفران والرضوان.

٤٧ — في استشعار عظمة الاسلام

الحمد لله، شرع لعباده ما فيه صلاح أمر الدين والدنيا، أحمده سبحانه، له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، خير من حج ووقف على المروة والصفا اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد، فيا عباد الله! إن عظمة الاسلام لتبدو واضحة في جوانب تفوق العد والحصر، يستشعرها المسلم في جمع الشمل المبعثر، وترقيق العاطفة، وتوحيد الجماعة.

فلقد كون الاسلام من رجل الصحراء ـ وقد كان كطبيعة بلاده جافاً غليظاً ـ كون منه شخصية فذة ، متعاطفة متراحمة ، وصفها رب العـزة بقوله : (محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار ، رحماء بينهم) ، وكون الاسلام من هذه الجماعة المتراحمة المتعاطفة ، دولة كانت لها الصولة ، أخرجت العباد من عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق ، ومن جور الأديان إلى عدل الاسلام وكانت كما وصفها القرآن : (خير أمة أخرجت للناس) .

ويستشعر المسلم عظمة الاسلام في سمو أهدافه ، وحكم تشريعاته ، فالصلاة لم تكن في نظر الاسلام غير صلة بين العبد وربه ، يسأله فيها الهداية والتوفيق إلى صراط الله الذي لا يضل سالكه ، فتعصمه من الزلل ، وتوصله إلى أكرم غاية ، كما قال تعالى : (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) ، والزكاة اصلاح اجتماعي ، وتنمية للثروة ، وطهرة للمزكي ، كما قال تعـالى : (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) ، والصوم تهذيب لملكات النفس ، وترويض على الفضائل ، والحج شرعه الله لحضور المنافع المتعددة ، المتجددة المتشابكة ، لصلاح أمر الدين والدنيـا ، لا تحصر في نطاق التعبد ، بحيث لا تعني غير المناسك ، بل هي إلى جانب ذلك للتكتل والتضامن ، والعمل على وحدة الصف الاسلامي ، وقيامه في وجه أعداء الاسلام ، في مختلف نحلهم ومبادئهم ، سواء كانوا صهيونيين ، أم استعماريين ، الكل منهـم عدو للإسلام ، يحاول أن يحد من إشعاعه ، وأن يطفىء شعلته ، لأن إشعاع الاسلام خطـر على البـاطل

وأهله ، فالباطل زبدٌ لا يثبت أمام تيار الحق الجارف ، كما قال تعالى : (فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) .

لذا كان لزاماً على المسلمين حين يفدون لقضاء النسك أن تتسع أنظارهم لأهداف الحج ، وشمول منافعه ، فكل خطوة فيه ، وكل نسك يؤديه الحاج ، وراءه منفعة ومصلحة ، فالتلبية مثلاً التي هي شعار الحج ، بل شعار الايمان ، تنطلق بها ألسنة الحجيج ، منذ أن يرتدوا لباس الاحرام : لبيك اللهم لبيك !! توحي بالانطلاق والتحرر من عبودية المخلوق إلى عبودية الخالق ، والاستجابة لأمره ، لبيك يا ربنا لبيك ، أي مستجيبين لأمرك ، خاضعين لسلطانك ، فليس لمسلم بعد أن لبى نداء الرحمن ، الموجه اليه على لسان خليله ، أن يلبي نداء الشيطان على اسان أعداء الاسلام ، في المخالفة بين صفوف المسلمين ، والتنكر لرابطتهم ، وليس لمسلم أن يتخذ شعاراً بعد شعار الإيمان ، الذي لهج به لسانه في منازل الرحمة والرضوان ، وعند حج البيت الحرام ليس لمسلم أن يتخذ شعاراً غير شعار الايمان والطواف بالبيت ، والالتفاف حوله ، في هذا الحشد من الحجيج في فترة الحج ما يوحي بضرورة التفاف القلوب ، وتضامنها على أمر الله ، والاعتصام بحبله ، كما تضامنت الأجساد على أداء النسك فيحج بيته .

وهكذا في كل شعيرة يؤديها الحاج منافع مزدوجة ، وجوانب لعظمة الاسلام ، يجتليها المسلم بين مشاعر الحج المعظمة ، وفي رحاب البيت العتيق ،

وعلى مقربة من المقام وزمزم والحطيم ، هنا في مهبط الوحي الذي تهفو اليه أفئدة المسلمين جميعاً يجب على المسلمين أن يصححوا أوضاعهم ، ويعقدوا مؤتمراتهم ، ويتضامنوا لصالح أمتهم ، ويشهدوا في حجهم منافع الدين والدنيا .

فاتقوا الله عباد الله ، واستمعوا إلى توجيه ربكم لخليله فيما يتصل بحج هذا البيت ، واغتنام المنافع في هذه الرحلة الموفقة المبرورة ، استمعوا له إذ يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (وأذن في الناس بالحج ، يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر ، يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم) .

نفعني الله واياكم بهدي كتابه . أقول قولي هذا ، واستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله يقبل التوبة عن عباده ، ويعفو عن السيئات ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، نبي الرحمة ، خير من أدى المناسك ، ووقف في عرفات ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، إن الحج يعطي الصورة الواضحة للجهاد ، في مختلف أوضاعه ، فالجهاد مظهر للقوة ، وإحراز الشوكة ، وكسب المغانم ، وبقدر إخلاص الحاج في حجه ، وبقدر تضحياته ، وتضامنه مع المجموعة الإسلامية ، يرتقي في درجات الجهاد ، والحج جهاد لا قتال فيه .

٤٨ ـ في إيضاح معركة الحق مع الباطل

الحمد لله كتب العزة للمؤمنين ، أحمده سبحـانه ينصر حزبه ويعزّ جنده ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبـده ورسوله ، جاهد في الله حق جهاده ، وأخمد بسيف الحق عـدوان المعتدين ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، إن المعركة التي لا تخبو نارها ، بل لا تزال مستعرة إلى قيام الساعة هي معركة الحق مع الباطل ، معركة الايمان مع الكفر (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت، فقاتلوا أولياء الشيطان ، إن كيد الشيطان كان ضعيفاً) .

ومعركة الحق مع الباطل ليست وليدة اليوم ، وإنما هي فصول يرويهـا القرآن في أدوار مختلفة ، يرويهـا في انتفاضة الخليل إبراهيم ، وتحطيم أصنـام قومه ، ليكون الدين كله لله ، وقابل الباطل هـذا الحق بحملة عنيفة باءت بالفشل ، وسجل الله على المبطلين ذلك في قرآن يتلى ، يذكر إلى الأبد أن البقاء للأصلح ، وان الله مع المؤمنين ، قال تعالى : (وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين) .

ويقص القرآن معركة الحق مع الباطل بين موسى وفرعون ، وكم في الدنيا

من فراعنة لا يعتبرون بمصير رائدهم الأول ، الذي يمثل الباطل في أبعد حدوده، كما قال تعالى حكاية عنه : (ما علمت لكم من إله غيري) . وقال : (أنا ربكم الأعلى) وقال عن مطاردته للحق ، والتنكيل بأهله : (سنقتّل أبناءهم ، ونستحي نساءهم ، وإنّا فوقهم قاهرون) . ويريد الله للحق أن ينتصر على الباطل ، وكانت النتيجة إهلاك فرعون كما قال تعالى : (فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق ، فكان كل فرق كالطود العظيم ، وأزلفنا ثَمّ الآخرين ، وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ، ثم أغرقنا الآخرين ، إن في ذلك لآية) أي لعبرة . ومنّ الله على المؤمنين بقوله : (ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم في الأرض ونريَ فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) .

وكذلك كانت معركة الحق مع الباطل على أشدها بين سيد المرسلين ، وبين أبي جهل وشيعته من صناديد قريش ، الذين أرادوا القضاء على الاسلام وأهله ، ويريد الله أن يظهر دينه على الدين كله كما قال تعالى: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) . وكانت النتيجة أن انتصر الحق على الباطل ، ووقف رسول الهدى ﷺ يطيح الأصنام بيده ويقول : (وقل جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقاً) .

وتضافرت قوى الشر على هزيمة الحق في الحروب الصليبية ، فحقق الله وعده

للمؤمنين ، فاندحر الباطل أمام عزمة الحق (ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ، ويقطع دابر الكافرين) .

وهكذا لن يخلو زمان أو مكان من معركة للحق مع الباطل ، وخاصة في في أعقاب الزمان ، على أيدي الطغاة المفسدين ، فيسمع المؤمنون بأخبار المعذبين من إخوانهم ، ما يتفطر له الحجر الصلد (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ، الذي له ملك السموات والأرض والله على شيء شهيد) . ويسمع المؤمنون بالأقلام المأجورة،والنفوس المسعورة،والدعايات المضللة ترفع صوت الباطل ، لتفريق الكلمة ، وتمزيق الشمل ، بدلاً من جمعه للوقوف أمام الزحف الاستعماري . أولئكم يا عباد الله ممن يبتغي العوج في سبيل الله والفساد في الأرض بعد إصلاحها،وقد ذم الله هذا الصنيع ، وحذر منه إذ يقول مترفعاً بعباده عن مناهجه : (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون ، وتصدون عن سبيل الله من آمن ، تبغونها عوجاً) . ووجه الأنظار إلى مصائر المفسدين بقوله : (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) .

إن معركة الحق مع الباطل - يا عباد الله - معركة ضارية ، طويلة الأمد ، غير أن النور الذي حمله رسول الهدى محمد بن عبد الله ﷺ ليضيء الدنيا ، والذي تألب عليه في الماضي ، ويتألب عليه في الحاضر أعداء الإسلام ، لن

ينطفىء أبداً ، بل سوف يبقى إلى الأبد ، في أيدي الدعاة إلى الله ، يحملونه إلى البشرية ليضيء الدنيا مرة أخرى ، ويوحد الكلمة ، ويجمع الشتات .

فاتقوا الله عباد الله ، وكونوا على أتم الاستعداد لخوض معركة الحق ضد الباطل ، فذلك واجب المسلم أينما حل وحيثما ارتحل،وان دعاة الباطل لا يقنعون منكم بشيء دون الردة عن الدين ، كما قال تعالى : (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :(يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم ، وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ، وجاهدوا في الله حق جهاده) .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه،أقول قولي هذا،واستغفر الله العظيم لي ولكم، ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، البشير النذير ، والسراج المنير ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، إن في العبر الماثلة لانتصار الحق على الباطل في كل

معركة ، ما يشد عزائم المؤمنين ، للثبات على الحق ، والاستمرار في المعركة حتى يحقق الله وعده للخلف بالنصر ، كما حققه للسلف ، وقال عز من قائل : (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) .

٤٩ ـ في الحث على تدعيم الرابطة الإسلامية

الحمد لله ألف بين القلوب برابطة الإسلام ، أحمده سبحانه ، حذر من الفرقة والعود إلى النعرات الجاهلية في الإسلام ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، خير من دعا إلى التوحيد ، ووضع أسس الوحدة لأخوة الإسلام ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، المجتمع الإسلامي السعيد ، هو المجتمع الذي يتسم أفراده بالنضوج ، وتتضافر منهم الجهود ، لإشاعة الخير ، والتواصي بالحق والصبر ، أملاً في حياة أفضل ، وحرصاً على الخروج من زمرة الخاسرين ، ولقد وصف الله هذا المجتمع السعيد في محكم كتابه ، بقوله : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (بسم الله الرحمن الرحيم ، والعصر ، إن الانسان لفي خسر) أي جميع الناس في خسارة وهلاك (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) .

هذا المجتمع ـ يا عباد الله ـ الموصوف بأجل الصفات ، هو المثل الرفيع لتكتل الجماعة في الحق ، لا يصدهم عن المضي في سبيله خذلان المخذلين ، ولا يضرهم إرجاف المخالفين ، مصداق ذلك قول الرسول الأمين ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين ، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم ، حتى تقوم الساعة » .

وهذا المجتمع ـ يا عباد الله ـ أيضاً هو القوة المتماسكة ، التي تحقق وحدة الصف ، بتمسكها بالأهداف التي وضعها الاسلام لذلك ، ففي مشروعية الجماعة للصلوات المكتوبة ، والترغيب لتكثير عدد المصلين ، كما جاء في الحديث : « صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده ، وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل » .

في كل ذلك وأمثاله ، أهداف رسمها الاسلام لوحدة الصف ، والوحدة التي تتمثل في الصف المتراص لعبادة الله ، هي نفسها الوحدة التي يجب أن يمثلها المسلمون في كل أقطارهم وأمصارهم ، مهما نأت بهم الديار ، أو شط بهم المزار ، ومهما اختلفت ألوانهم ، وتغايرت لغاتهم ولهجاتهم ، فإن الاسلام الذي رسم الخطط والأهداف لتكتل الجماعة ، وشد على رابطتها ، قد أطاح بالفوارق بين أفراده ، لئلا تكون وسيلة للتفكك ، فلا عنصرية ، ولا حزبية ، ولا عصبية للون أو جنس ، أو حسب أو نسب ، ولا تفاضل إلا بتقوى الله ، والعمل

الصالح ، كما قال رسول الهدى ﷺ : « الناس من آدم ، وآدم من تراب » ، لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى .

وان من أعظم الأهداف التي وثق الله بها الروابط بين أفراد المجتمع الاسلامي ، أن جعل له مركزاً للاشعاع الديني ، هو هذا البيت المشرف ، في بلد الله الأمين ، يتجهون إليه في عباداتهم ، ويحجونه ويعتمرونه تجديداً للعهد بربهم ، وتأكيداً للولاء بينهم ، وتمثيلاً عملياً لوحدة الصف المتراص ، لايختلف على بعضه ، ولا يتقدم أو يتأخر أحد فيه ، وانتهازاً للفرصة المتاحة في جوار البيت ، للتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، والتعاون والتضامن لوضع التوصيات وتنظيم الخطط لعز الاسلام ، وصد العدوان عن ديار الاسلام .

فأي هدف أرفع من هذا الهدف العظيم؟ وأي مجتمع أعظم سعادة وأرفع شأناً ، وأبعد أثراً من هذا المجتمع الاسلامي ؟! وأي رابطة تنتظم القاصي والداني أفضل من هذه الرابطة الاسلامية ، التي أرسى الله قواعدها إلى جوار بيته ، وجعله علماً لوحدة الجماعة ، ومناراً لتوحيد الصفوف ؟!.

فمن الواجب المتحتم على المسلمين جميعاً ، أن لا يحولوا وجوههم عنه ، أو يتخذوا لتكتل جهودهم وتدعيم رابطتهم قاعدة سواه ، جدير بهم أن يستجيبوا للنداء الاسلامي من جواره ، يرسم خطط الاصلاح ، وينذر بالخطر الداهم ، الذي يحدق بالمسلمين من كل جانب ، للقضاء على رابطتهم ، وإعادتها جذعة حرباً

صليبية ، لا هوادة فيها ، لا بالنار والحديد فحسب ، بل بالملهيات والمغريات ، وشتى الأساليب ، حتى بالثقافة ، فقد أضحت مشوبة بالسم الزعاف ، تعمل على إبعاد الشباب عن دينه ، ومقومات أخلاقه ، ليصبح بعد انحلاله أداة طيعة ، ينفذ أغراض الاستعمار وأهدافه .

إن ما يزيد على أربعمائة مليون مسلم - في أقاصي الدنيا - مفروض أن لا يغلبوا من قلة ، ولكن الواقع المرير أنهم غلبوا فعلاً ، رغم كثرتهم ، غلبوا حين دخل عليهم الوهن من قبل تفككهم واختلاف صفوفهم ، والتنكر لرابطة الاسلام - غلبوا فعلاً - حين أصبحوا كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ : « غثاء كغثاء السيل » فلم يعبأ العدو بهم ، بل اتخذهم مطايا لأغراضه .

ولقد حذر رب العزة من هذا المصير ، وضرب له المثل في الغابرين فقال : (ولا تكونوا كالذين تفرقوا ، واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم) .

ولتلافي ذلك يجب على المسلمين حتماً ، أن يصححوا أوضاعهم ، وأن ينهضوا لترميم ما وهى من بنيانهم ، وإصلاح ما تحطم من كيانهم ، وأن يحرصوا كل الحرص على تدعيم رابطتهم والالتفاف حول مركز الاشعاع الديني بقلوبهم ، كما يلتفون حوله لعبادة الله بأجسادهم ، وذلك أوضح برهان على التواصي بالحق والصبر ، يضربون به المثل للدنيا ، على صلاح مجتمعهم الاسلامي السعيد .

فاتقوا الله عباد الله ، وأعدوا العدة للكفاح المشروع من أجل الجماعة ، ووحدوا الصفوف للتلاقي في الأهداف ، والتوحد مع رابطة الاسلام ، ففي ذلك الولاء الصادق لأهل الاسلام ، والاخلاص الواضح لدين السلام .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ، إن الله عزيز حكيم).

نفعني الله واياكم بهدي كتابه . أقول قولي هذا ، واستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، انه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية ـ تصلح لجميع الخطب

الحمد لله الكريم الوهاب ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، أنزل الله عليه خير كتاب ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، إن أحسن الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله ﷺ ، فاهتدوا بهديها ، واسلكوا منهجها ، فقد أفلح عبد أخذ الأسوة والقدوة من إشعاع نورهما ، وصلوا على نبي الرحمة والهدى ، فقد أمركم بذلك المولى جل وعلا فقال : (إن الله وملائكته يصلون على النبي ، ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمـــد ، وارض اللهم عن خلفائه الأربعة : أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، نجوم الدجى ، وعن سائر الصحابة والتابعين ، ومن سار على نهجهم واقتفى ، وعنا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك ياخير من تجاوز وعفى .

اللهم أعز الاسلام والمسلمين ، اللهم أعز الاسلام والمسلمين اللهم أعز الاسلام والمسلمين ، واحم حوزة الدين ، ودمر اليهود وسائر الطغاة والمفسدين ، وألف بين قلوب المسلمين ، ووحد صفوفهم ، وأصلح قادتهم ، واجمع كلمتهم على الحق يارب العالمين ، اللهم آمنا في أوطاننا ، واصلح أئمتنا وولاة أمورنا ، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك ، ياأرحم الراحمين : (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) ـ (ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار).

عباد الله : (إن الله يأمر بالعدل والاحسان ، وايتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظكم لعلكم تذكرون) فاذكروا الله على نعمه ، واشكروه على آلائه ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون .

٥٠ ـ عاملان من عوامل الضعف البشري حاربها الاسلام

الحمد لله من توكل عليه كفاه ، أحمده سبحانه ، لايذل من تولاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، أكرمه الله برسالته واصطفاه ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه.

أما بعد ، فيا عباد الله، عاملان من عوامل الضعف البشري ، لا يترك الاسلام لهما الفرصة ، ليستبدا بالمسلم ، وليضعفا فيه اليقين في الله .

العامل الأول ـ الخوف على الرزق من القطع والنقص .

العامل الثاني ـ الخوف على الأجل وانقضائه أو النقص فيه أيضاً .

ولقد طمأن رب العزة عباده من هذا الخوف على الرزق والأجل ، حيث جعلها بيده ، ليعلق العباد أملهم فيه دون سواه ، وليكون لهم من اليقين ما يقطعون به أشواط الحياة في أمن ، لايخشون إلا الله ، ولا تذل نفوسهم لغير الله من المخلوقين ، طالباً لنوالهم ، أو ابقاء على أرزاقهم وآجالهم ، فليطمئن العبد على رزقه ، وإنه بيد الله وأن أي مخلوق مهما بلغ من العزة والسلطان لايستطيع قطعه ، أو الانقاص منه . يقول سبحانه ويؤكد القول بالقسم : (وفي السماء رزقكم وما توعدون ، فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما انكم تنطقون) .

ويقول أيضاً في تعداد نعمه على عباده ، وأنه وحده الخالق الرازق المحيي المميت : (الله الذي خلقكم ثم رزقكم ، ثم يميتكم ثم يحييكم) وليطمئن العبد على أجله وإنه مقدر مكتوب لا يزيد فيه تخلف عن مواقف الشرف والبطولة في جهاد أعداء الله أو ينقص منه اقتحام الصعاب ، ومصاولة الموت ، يقول عز من قائل : (وما كان لنفس أن تموت إلا باذن الله كتاباً مؤجلاً) غير أن ضعف اليقين كثيراً ما يصرف عن هذه الحقيقة الواضحة ، ويغفل البعض عن وعود الله الكريمة ، بأن الرزق والأجل بيده سبحانه ، لاسلطان لأحد عليه . فيخضع للمخلوق ، ويذل له ويتملقه ، ويتفنن في النفاق ، ويكيل له من المديح والثناء ما يرفعه إلى درجة الصديقين وعباد الله الصالحين ، وهو لا يستحق شيئاً من ذلك ، ويكون هذا النفاق والملق وبالاً على صاحبه ، إذ يغضب الله عليه كما جاء في الحديث « إن الرجل يخرج من بيته ومعه دينه فيلقى الرجل ، وله إليه حاجة ، فيقول : أنت كيت وكيت يثني عليه لعله أن يقضي من حاجته شيئاً ، فيسخط الله عليه ، فيرجع وما معه من دينه شيء » .

وأعظم من ذلك وأفظع أن يكون التملق على حساب هدم الغير ، والطعن في الأخ المسلم البريء ، والوقيعة به ، أو اغتيابه ، فيسخط الله عليه في سبيل استرضاء من تملقه بذلك ، ونافق له لينال لديه حظوة ، أو ليسعى في مصلحته على زعمه ، أو لتقديره وترفيعه ، وقد ورد الوعيد الصارخ في ذلك ليردع عنه ،

فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « من التمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ، ومن التمس رضى الناس بسخط الله ، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس » وفي حديث آخر : « إن من ضعف اليقين ، أن ترضي الناس بسخط الله ؛ وأن تحمدهم على رزق الله ، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله ، إن رزق الله لا يجره حرص حريص ، ولا يرده كراهية كاره » .

وليطمئن العبد على أجله ، وأنه بيد الله مقدر محدود ، لا يزيد فيه التخلف عن الجهاد فراراً من الموت ، الذي يهدم اللذة ، ويقطع الأمل ، ولا ينقص منه بيع الأنفس في سبيل الله ، ولإعلاء كلمة الله يقول سبحانه : (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم) . ويقول أيضاً : (فإذا جاء أجلهم لا يسأخرون ساعة ولا يستقدمون) وإنما الموت نقلة من حياة ذميمة هي حياة الذل والاستعباد وصولة الكفر ، إلى حياة كريمة هي حياة الشهداء في ظلال الخلد ، وجنات النعيم ، كما قال تعالى في وصف واقعهم ومآلهم (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً ، بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

فاتقوا الله عباد الله ، وقووا ثقتكم في الله ، واعلموا أن الرزق والأجل بيد

الله ، ولن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها المكتوب ، وأن الله سبحانه هو الكافي لعباده ، فلا يحتاجون مع كفايته إلى أحد من خلقه ، كما قال تعالى ، مخاطباً أشرف رسله : (ياأيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه ، أقول قولي هذا ، واستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله ، عليه يتوكل المؤمنون ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، الصادق المأمون ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله : يقول بعض علماء التحقيق : إنك إذا أرضيت الله نصرك ورزقك ، وكفاك مؤونة النـــاس ، وإرضاء الناس بما يسخطه ، إنما يكون خوفاً منهم ، ورجاء لهم ، وذلك من ضعف اليقين ، وإذا لم يقدر لك ما تظن أنهم يفعلونه ، فالأمر في ذلك لله لا إليهم ، فإنه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن .

٥١ ـ في الحث على الفرار إلى الله والعمل بطاعته

الحمد لله يُعز من يطيعه ويتولاه ، أحمده سبحانه ، لا إله غيره ، ولامعبود سواه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، خير من دعا إلى صراط الله ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فياعباد الله ، داعي الهدى في قلوب المؤمنين يدوّي ، فيبلغ الأعماق ، وتتجاوب معه معلنة الفرار إلى الله من أثقال الحياة ومتاعبها ، ومن مجالب الآثام وعثرة الأقدام ، كما قال تعالى : (ففروا إلى الله ، إني لكم منه نذير مبين) غير أن العزائم في الفرار إلى الله تختلف قوة وضعفاً ، وتتفاوت صدقاً وإخلاصاً ، فأعظم الناس فراراً إلى الله من باع نفسه لله ، وتفانى في طاعة الله ، وأخلص الإرادة والقصد والتوجه إلى الله ، فحقق أسمى غاية من إيجاد الخليقة يريدها الله ، كما قال تعالى : (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) وقام بوظيفة الخلافة في الأرض التي جعل الله فيها الخلافة لأبي البشر آدم ، ولذريته من بعده ، كما أعلن ذلك في ملائكته وقال : (وإذ قال ربك للملائكة : إني جاعل في الأرض خليفة) .

ومقتضى هذه الخلافة في الأرض يتطلب عمارتها بشتى ألوان النشاط

الانساني ، شريطة أن لا يكون هذا النشاط هو الغاية ، بل يجب أن يكون كل نشاط للبشر في هذه الحياة لا يصرف عن الغرض الأسمى وهو الطاعة .

وعن إخلاص العبادة لله ، فكل تقلب للعبد في معترك الحيـاة ، يجب أن يكون فيه على صلة بمولاه ، لا يخرج فيه عن طاعته ، ولا ينصرف عن عبادته ، وإلا لم يقم بوظيفته ، ولم يحقق الغاية من خلقه ، وكان ممن ذم الله صنيعه بقوله: (قل هل أنبئكم بالأخسرين أعمالاً ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيـا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً) .

إن أحمال الحياة وصوارفها ـ يا عباد الله ـ والاشتغال فيها بالولد ، وببريق المادة التي تخلب الأنظار ، ولا يسلم من فتنها عابد أو متزهد، فضلاً عن المنغمس فيها ، الملهوف عليها ، كل ذلك مما يشد المسلم إلى الأرض ، ويثقله عن النهوض بالواجب عليه نحو ربه ، والقيام بالغرض الأسمى من إيجـاده ، ولذلك جاءت التوجيهات الاسلامية تستنهض الهمم، وتشحذ العزائم ، للاشتغال بما هو أكرم عاقبة ، وخير مآلا ، وتصرف النفوس عن الانغماس في الحياة الصاخبة اللاهية، وفتنة المادة والولد كما قال تعالى : (المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا) وقال تعالى : (وما الحياة الدنيـا إلا متاع الغرور) وقال تعالى (وللآخرة خير لك من الأولى) .

وتطمئن الكادحين الملهوفين على جمع الحطام ، بأن الرزق مضمون مقسوم ،

لا يزيده الحرص البالغ ، والانصراف الملهي عن الله ، كما جاء عن رسول الهدى ﷺ أنه قال : « إن روح القدس ، ألقى في روعي : أن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب » . أو كما قال ﷺ - وفي حديث آخر : « إن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا ترده كراهية كاره » .

فاتقوا الله عباد الله ، وليكن هدفكم في هذه الحياة القيام بتحقيق أسمى غاية يريدها الله ، وهي عبادته ، والانصراف لطاعته ، والفرار اليه من أثقال الحياة ومتاعبها ومن زخرفها وبهرجها ، ومن عثرات الأقدام ومجالب الآثام .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم ، وافعلوا الخير لعلكم تفلحون) .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله المتفرد في علاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، أفلح عبد سار على نهجه واهتدى بهداه ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عباد الله ، كمال العبد في شعوره بعبودية ربه ، وأن له في الحياة

دوراً خلقه الله من أجله ، فعليه أن يؤديه ، ألا وهو دور العبادة ، فمن قام بها مستشعراً مقام ربه ، فقد حقق غاية وجوده ، وحظيَ بحسن العقبى ، كما قال تعالى مخاطباً من أحسن عملاً : (يا عبادِ لا خوف عليكم اليوم ، ولا أنتم تحزنون ، الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ، ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تُحبرون) .

★ ★ ★

فهرس الموضوعات